مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

أيار و حزيران سنة ١٩٤١ م
جمادى الأولى و جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ هـ

دمشق
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ » »

مطبعة الترقي بدمشق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المطبوعات العربية

البدء بالطبع وعبث الطابعين

سبقت مصر سائر الأقطار العربية في الأخذ بأسباب الحياة العلمية ومنها طبع الكتب . ولئن بدأت الاستانة بطبع الحرف (١١٣٩ هـ) بعد أن طبعت الكتب العربية في الغرب بزمن طويل ، إن الطبع بالحروف لم يعهد في مصر الا في سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) وكان على ضعف حتى سنة ١٨٢٢ م وهي السنة التي أسست فيها مطبعة بولاق الأميرية وطبعت الأمهات القديمة وكتب العلوم الحديثة .

وأنشئت في بيروت مطبعة المرسلين الاميركان البرتستانت سنة ١٨٣٤ م ثم مطبعة المرسلين اليسوعيين الكاثوليك في سنة ١٨٤٨ م ، وفي نحو ذلك الزمن دخلت الطباعة بالحروف الى تونس ، وانشأت الحكومات مطابع لها في بعض أنحاء الشرق . وما بدأ الأفراد بتأسيس المطابع في أرض الشرق العربي الا بعد انقضاء زمن على المطابع الحكومية ، وكانت عنايتهم بما يطبعون دون عناية الحكومات ، ذلك لأن القائمين بأمرها توخوا الربح قبل كل شيء ، وتوهموا الأرباح تأتي من طريق الاقتصاد في النفقة من كل باب ، وكان معظم من عانوا الطباعة لا شأن لهم في العلم والأدب ، فأساء بعضهم الطبع بالطبع ، وأخذت الشناعة ببعض ما طبعوا : لا دقة في التصحيح ، ولا ذوق في وضع الصفحات والحواشي ، وقد يخلطون في الكتاب كتاباً آخر لا علاقة له بالكتاب الأصلي ، فتستغرق الصفحات بالأصول والزوائد ، ويختارون للطبع أسقم الحروف ويتخيرون أدنى الورق ، ويتطلبون الرخص في كل شيء ، وبذلك خلت مطبوعاتهم من كل بهجة وروعة .

ولما كان اكثر من عانوا طبع الكتب من طبقة العامة ، لم يهتموا لجهلهم بغير كتب الخرافات والغراميات على الأغلب ، بدعوى أنها اروج من كتب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العلم، ظانين أن طبع الكتب من جملة ضروب التجارات لا تحتاج الا لما تحتاجه التجارة عامة من رأس مال، ومعرفة بطرق التوفير، واقتناص الربح، والتجارة تخوّلهم أن يطبعوا ما شاؤوا، ويعملوا بالكتب ما شاؤوا، على أن تكون الغاية من كل ذلك الكسب المضمون، لذلك ما تعفف بعض الوراقين عن طبع كتب المنامات والتخريفات وأشياء سموا كتبها الروحانيات، واشياء هي من الاسرائيليات، وكتب أسرار الحرف، والجفر، وكتب الكيمياء وعمل الذهب، وكتب السخف والمجون، وطبعوا واكثروا من طبع كتب ابي معشر والدبربي واضرابهما، وكل الكتب المنسوبة لأمثالها تعبث بالعقول وتزيد قارئها جهلاً الى جهل

طبع كتب العلم

قويت العزيمة على الاستكثار من طبع كتب العلم لما كثر تبرّم الناس بتلك الكتب المضرّة وزاد عدد المتعلمين على الطرق الحديثة، فأدرك العارفون قصورهم عن احياء كتب السلف، فطبعوا في مصر أسفار مالك والشافعي وابن حنبل وابي حنيفة والغزالي وابن حزم وابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي وابن قتيبة والجاحظ وثابت بن قرة وحنين بن اسحق والآمدي والشاطبي والقرافي وابن رشد والباقلاني وابن عبد البر والسرخسي واخوان الصفا وابن جني وابن منظور وابن سيده الى عشرات امثالهم من علماء الأمة وحكمائها وأدبائها ومؤرخيها ولغوييها .

واختصت الهند بطبع كتب الحديث ورجاله وما شاكل ذلك من علم الكلام واللغة، كما تفردت ايران بطبع كتب الامامية بالعربية وغيرها، وزنجبار بطبع كتب الخوارج والإباضية، ودمشق وبيروت بطبع الكتب المنوعة، وخصت أوربا بطبع كتب العلوم كالطب والكيمياء والأقرباذين وجرّ الأثقال والزيجات والأرصاد والفلك والرياضيات والطبيعيات والنبات والتاريخ والجغرافيا والرحلات واللغة والأدب والشرع وغير ذلك من العلوم التي نقلتها العرب عن أهل الحضارات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القديمة وزادت فيها ، او كانت وقفاً عليهم كعلوم القرآن والسنة واللغة والشعر .

شرعت أوربا من نحو أربعة قرون بطبع ما عثرت عليه من كتب الرازي والبيروني والبتاني والكندي (الفيلسوف والمؤرخ) وحنين بن إسحق والخوارزمي ونصير الدين الطومي وعبد الرحمن الصوفي وابن النديم والفارابي وابن سينا ويوحنا ابن ماسويه والطبري واليعقوبي والدينوري والمسعودي وابن خلكان وابن الاثير وأبي الفدا والقزويني وحمزة الأصفهاني والشريف الادريسي والمقدسي والاصطخري وابن حوقل وابن خرداذبة والهمداني والبلاذري والبكري وابن عذاري وابن سعد وابن سعيد ومسكويه وابن جبير وابن هشام والبيضاوي وعشرات من اضرابهم مما لا يقل عن خمسمائة مجلد ، وكلها كتب مختارة بذلوا الوسع لمعارضتها على نسخ متعددة ووشحوها باختلاف الروايات وحل عويص مشكلاتها ، وزينوها بالفهارس ، وقربوا منال الانتفاع بها على المطالعين ، عملوا كل ذلك بأمانة وتدقيق وتحقيق ، وكانت الغاية من طبعها واحيائها خدمة العلم ، وما تصر الهولاندبون والألمان والطليان والفرنسيون والبريطانيون والروسيون والاسبانيون والبولونيون والاميركان وغيرهم في احياء كتب العلوم وطبع كتب اللغة والتفسير والحديث أيضاً

طلع القرن الرابع عشر من الهجرة ، وأهم مواطن طبع الكتب العربية في الشرق القاهرة وبيروت وتونس والاستانة وحيدر آباد الدكن وطهران وفاس ، وجهلة الوراقين قابضون على قياد الطبع لا يهتمون بغير الكسب ، وقلّ من الكتب ما تولى تصحيحه العارفون ، ومنها ما نشرته الحكومة المصرية وبعض الجمعيات العلمية والدينية . وكان المؤلفون في بلاء من أكثر الورّاقين يتحكمون فيهم ، ويستثمرون جهودهم ، واذا أرادوهم على عمل فهارس للكتب تسهل على المطالعين تجهموا لهم ، واذا اقترحوا عليهم أن يختاروا الجيد من أصناف الورق هزؤوا بهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جمعيات طبع الكتب

وهذا ما دعا الى تأليف عدة جمعيات من النُبوغ على العلم ، ومن أعضائها الشيوخ الأجلاء ومنهم بعض أرباب المكانة في المجتمع المصري فلم يوفقوا في عملهم ، لما كان ينقصهم من بعد الهمة والمشاكلة في الثقافة ، والتجرد عن التعصب ما امكن في اختيار ما يطبعون ، وتألفت منذ أواخر القرن الماضي في مصر عدة جمعيات لهذا الغرض ، ومنها ما طبع بضعة كتب وانهزم من الميدان ، ومنها ما قصد طبع كتاب بعينه فلما أتمه لم يحاول طبع غيره . وقد انحلت هذه الجمعيات لأنها لم تسر على نظام ثابت يضمن لها البقاء ، ولأن القائمين بها أرادوا حلها عجزاً عن المضي فيها ، ولأن الفردية تغلب على الشرقي فلا ينجح مجتمعاً وكثيراً ما يفلح منفرداً الفلاح كله .

وأنشأ بعض النابهين من المتعلمين على الأسلوب الحديث لجنة في القاهرة في سنة ١٩١٢ سموها « لجنة التأليف والترجمة والنشر » وما زالت تزيد رقياً سنة عن اخرى ، تطبع الكتب الجديدة والقديمة ، وتعنى بألاّ تخرج مطبوعاتها قبل عرضها على جماعة من الاختصاصيين من أعضاء هذه اللجنة أو من غيرهم ، وأكثرهم معلمون وأساتذة وموظفون ، وقد طبعوا الى الآن اكثر من مائة وثلاثين كتاباً في الطبيعة والرياضة والفلسفة والتاريخ والأدب والاجتماع وغيرها ومنها ما يدخل في مجلدات ، ومنها ما هو من القطع الكامل ، ومن كتبهم ما نقلوه عن اللغات الاجنبية ومنها ما ألفه الأعضاء أو غيرهم ، فأثبتت اللجنة أن الشرقي اذا أحب العمل وأتقنه لا يقل عن الغربيّ .

يتنافس الناس اليوم في اقتناء المطبوعات الجيدة ، وكان المأمول أن يكتب لها الرواج اكثر مما قُدّر لكتب المجون ، ومن هذه ما يطبع عشرات الألوف كالقصص والروايات ، ومنها مالا يشبع الجمهور منه لأول نشره بأقل من عشرة آلاف نسخة ، وما يقال في الكتب يقال في المجلات — والمجلات أيضاً كتب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دورية — فان أرقى المجلات العلمية الأدبية باللغة العربية تطبع بضعة الوف ، ومجلات العامة تطبع العشرين والثلاثين الفاً وربما اكثر من ذلك ، وما يروق الخاصة لا يروق العامة ، وخواص كل أمة اقل من عوامها . وكان لارتقاء فن الطباعة في الغرب دخل كبير في رقيّ المجلات العربية وما صارت اليه من التفنن في الطبع والتصوير . ولم يدخل على الكتب من هذا التحسين شيءٌ كثير يناسب فائدة الكتب ، وتناسى السواد الأعظم ان الكتب تخلد وتورَّث وتتناقلها الأيدي اكثر من المجلات والصحف ، وهذه ما خرجت عن كونها ابنة يومها بل ساعتها .

أصناف الكتب

تقسم الكتب في مصر الى قسمين صفراء وبيضاء ، فالكتب الصفراء هي ما طبع على ورق اصفر من الجنس الرديء ، وهذه يسمونها الكتب الأزهرية ، والبيضاء هي التي تطبع على ورق ابيض ، وهي كتب الجمهور على أنواعها وكتب المدارس النظامية ، والكتب الصفراء رديئة الطبع ، رديئة الوضع ، تشوش القارئ وتبغض اليه المطالعة ، بما تحمل من هوامش وهنات ينبو عنها النظر ، والعكس في الكتب البيضاء المشرقة فانه تستجاد لها الحروف والورق وهي خالية من الهوامش الا ما كان منها داخلاً في الموضوع ، وقد تبذل العناية بتصحيحها اكثر من الكتب الصفراء .

دب الكساد في الكتب الصفراء قليلاً ، وكتب الرواج مع الزمن للكتب البيضاء ، بقاعدة بقاء الأنسب ، وبما دخل من التحسين على أذواق الأمة ، وما برح مع هذا بعض الطابعين بمصر يجوزون لأنفسهم طبعها كما يطبعون كتب التضليل والتدجيل ، يصدرونها الى بلاد الزنوج في أواسط افريقية والى بلاد المالايو ، يطبعون منها مقادير برسم التصدير الى الخارج غالباً ، ولو كان لي من الأمر شيءٌ لجرَّمت كل من يجرؤ على طبع مثل هذه الأسفار المضرة بالعقل والدين ، ومضرتها لا تقل عن كتب المجون والسفاهة ، وكتب الالحاد والاباحة ، ذلك لأنها تباع على انها كتب دين ، والدين لا يعرفها وليست منه بسبيل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مضار الكتب الساقطة

لا جرم ان من يبيع من الجهلاء كتباً تزيدهم جهلاً وغباوة كمن يحمل المخدّرات الى السذّج ويزين لهم استعمالها ، او كساقٍ يسقي السم الزُّعاف لمن يطلب اليه ان يسقيه ماءً قراحاً ، وليست كتب الجهالات في تخريب العقول بأقل من تخريب المخدرات والمسكرات في الأجسام . الحكومات تخاف من كتب فيها ما لا ترضاه سياساتها ، ولا ترى واجباً عليها أيضاً أن تحظر على الطابعين طبع المضرّ من الكتب ، لئلا يحملوا الى القراء كتباً غير محرزة ولا معتبرة ، فان هذه بالنسبة لجمهرة الأمة لا تقل مضارها عن تلك

ربما يقول بعضهم ان هذا مما يفتح للحكومة باب التدخل في حرية النشر وسلب حق الناس في الحرية . وما كان لأمة لا تعرف مالها وما عليها ، وما يصلحها وما يفسدها ، وليس لها من نفسها مراقب ولا محاسب ان تتمتع من الحرية بالمقياس الواسع ، وخير أن يرجع في النشر الى قاعدة من ان تطغى هذه الفوضى على ما يطبع ، وترجع الأفكار الى عصور الظلمات ، وينقطع الأمل من تأليف امة منورة متجانسة حتى بعد قرون .

مظاهر الكتب وترويجها

وبعد فقد كان في الامكان الاستعاضة عن هذه التجارة المحرمة في الكتب بتجارة محللة فيها بطبع الكتب المفيدة ، فان ما يطبع في مصر من الجيد تروّجه شهرتها في الأقطار ، وتزيد الكتب رواجاً بين مختلف الطبقات بقدر ما يتقن الطابعون طبع ما يطبعون من الكتب وينتقون أسفارهم ، ويبذلون العناية بالتصحيح والتهذيب . وقد رأينا بأخَرَة بعض الطابعين تنصرف هممهم الى الخروج عن الطريق القديمة بعض الشيء كأن يقلدوا الطابعين في ديار الغرب بعنايتهم واتقانهم ، ويجعلوا فهارس للكتب ، ويتوقوا الأغلاط المطبعية في الجملة ، فزادت بذلك كتبهم حرمةً وقبولاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جمال الكتاب وطبعه مما يزيد الرغبة فيه ويزينه في الأعين ، وفي العادة أن كل بضاعة تبرز في قالب مقبول صنعاً ووضعاً تحتل من النفوس أحسن موقع ، فما الحال بالكتب التي هي أكثر البضائع اعتباراً وخلوداً ، ولقد بلغ حب الاتقان من أهل الغرب ، وحب الاعلان عن كل شيء ان عهدوا الى مفننين عرفوا بسلامة الذوق وسعة الحيلة ، ليصفوا بضائعهم صفاً يلفت الأنظار ، ويعلنوا عنها في الصحف وغيرها بما يبعث العزائم على اقتنائها ، وان لم ترغب في ذلك كثيراً ، فهل عنينا نحن بكتبنا وقدرنا أنها على الأقل بضاعة من البضائع تحتاج لمن يروجها ؟ ان الكتب العربية تحتاج الى ان تأخذ حظاً من الاتقان اللازم وتهيأ لها من طرق الدعاية والنشر مثل ما يهيئه الطابعون والوراقون في البلاد المتمدنة لنشر مطبوعاتهم . ولو كانت كتبنا اسفاط جواهر مخبوءة في مستودعات الطابعين ما تنبه الناس لها بدون اعلان ولا دعاية .

بعض طرق الغربيين في نشر الكتب

في يوم واحد ينشر الورّاق الإنكليزي [1] الكتاب الجديد في كل بلد تقرأ فيه اللغة الانكليزية من أصقاع الغرب والشرق ، وفي يوم واحد تكتب الصحف والمجلات نقد الكتاب وتقريظه وتلفت الأنظار اليه ، وفي يوم واحد يقرأ هذا الكتاب ابن بريطانيا العظمى وابن اليابان وابن كندا وابن استراليا وابن زيلاندة الجديدة وابن الولايات المتحدة وابن الهند ونزيل جنوبي افريقية ومصر والسودان . والوراق الانكليزي لا يضنّ لترويج كتبه بين القراء بكل مافي وسعه ، ينشرها بكل حيلة ، وكذلك سائر الوراقين من جميع الأمم المتمدنة ، فعلينا أن ندرس طرائقهم ، وعلى الوراقين عندنا ألا يضنوا بخمسة أو عشرة في المئة يضمونها على نفقات

(١) ان مما قرأناه في هذا الشأن كتاباً نقل الى الفرنسية من الانكليزية في حقيقة الطبع لمؤلفه ستانلي اونون واسمه Stanley Unwin : La vérité sur l'édition و « الكتاب » لالبر سيم Albert Cim: Le livre

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الطبع للاعلان عن مطبوعاتهم ، فيخدمون بذلك أنفسهم ويخدمون المؤلف ، ويخدمون المدنية والمعارف .

قصور وراقينا في النشر

وإنا لنجد الكتاب الذي يصدر في مصر لكثرة تدنيق بعض الوراقين في النفقات قد لا يصل الى البلاد العربية في أقل من سنة . يعتمد الكتبي في ترويج كتابه على الطبيعة والمصادفات اكثر من اعتماده على التذرع بذرائع النشر الكثيرة ، وربما طبع الكتاب الجيد وما عرف به من يهمهم اقتناؤه الا عرضاً وبعد سنين تمضي على نشره ، فهل يحق بعد هذا لورّاق أن يشكو من قلة الرواج ؟ والرّواج بيده ، ولو بذل القليل لربح الكثير . ولو صرفت العناية بالاعلان عن الكتب وترغيب الناس فيها وعرضها في المدن والقرى وتحبيب اقتنائها للرجال والنساء والأطفال لزاد عدد المطبوع والمبيع من كل كتاب قديم او حديث ، ولقلّ بهذا العمل عدد العاميين في البلاد العربية جمعاء ، ولا يمضي عشرون عاماً حتى تتغير تصورات الناس وأخلاقهم وآدابهم ومناهجهم في الحياة . بيد الطابع وبيد المؤلف نشر حضارة أمة فلينظر الوراقون ماذا يعملون ، ولتعمل الحكومات الواجب عليها نحو الطابعين ، ولتراقبهم لما فيه مصلحتهم ومصلحة الجماعة .

نحن في أشد الحاجة الى التجدد في مطبوعاتنا ، وان نجدد في مظاهر الطبع من حروف واشكال وصور ، وقطع ووضع وورق وتجليد ، ونجدد في المبالغة بتصحيح الكتب والتعليق القليل بما يبين غامضها ، فليس كل الناس يفهمون ما يقرؤون ، فعلينا أن نسهل عليهم فهمها ، كأن نشكل دائماً محال الإشكال من الألفاظ ولا نترك غامضاً ولا مبهماً ، ونحن إذا فعلنا هذا لا نغشّ المطالع بل نستميله الى الاكثار من المطالعة . واذا صنا كتبنا عن تلقين المبتدئين أغلاطاً تتأصل في عقولهم فتؤذيها نصون الدين والآداب والمدنية ، ولا تقل التبعة الملقاة على عواتق الطابعين عن التبعات اللاحقة بالحاكمين والمسيطرين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نقابات طبع الكتب

نحتاج الى التجديد في طرق النشر ، ولا يتم ذلك الا بانشاء نقابة او نقابات تفكر في اقرب السبل الى الاتقان والنشر والربح ، وتصدر مجلة توزعها مجاناً على دور العلم ورجاله وطلابه ، تفيض في الكلام على ما صدر ويصدر من الكتب ، وعلى مافي القديم منها من الحسنات وغيرها فتكون خير اعلان لما طبع ويطبع ، وأصدق مرشد لمن اراد ان يقتني الاطايب من الاسفار ، ولا ينفق فيها اكثر مما تمكنه حالته من انفاقه ، ويعان علَى ان يكون له منها مع الزمن خزانة خاصة يستفيد منها هو وأولاده وأحفاده .

العصر عصر الشركات ، وقد رأينا الطابعين او الوراقين الذين ضعفت رؤوس أموالهم لا يأتون شيئًا يعتدُّ به في هذه التجارة ، ورأينا المطابع الكبرى او الشركات المموّلة المنظمة في عملها تربح كثيراً وتفيد اكثر من غيرها . فاذا اجتمع الوراقون في مصر مثلاً ، وألفوا شركةً او شركات يدخل فيها فقراء الورّاقين وغيرهم تتغير أشكال الطبع وأشكال الأسفار ، وتخف شكوى المتجرين بالكتب من قلة الرواج ، وشكوى المؤلفين والمترجمين والمصححين ، وشكوى القراء من سخافة المطبوع والمنشور ، وشكوى الكتب من الكساد ، وتدخل في طور اتقان وعناية على النحو الذي نراها عليه عند أصغر أمم الحضارة لعهدنا .

سبيل رواج الكتب

يتوهم بعض الوراقين عندنا ان الاشتطاط في الربح يوصل الى الغرض من هذه التجارة ، ونسوا ان الربح القليل من شيء كثير أعود عليهم من ربح كثير من شيء قليل ، ولو ادركوا ذلك ما توقفوا عن تغيير أساليبهم في الطبع والنشر وتقدير الربح ، ولأيقنوا أن من مصلحتهم المهاودة في الأسعار والعناية بتجويد بضاعتهم . ولكتاب يطبعه طابعه ويبيعه في مدة قصيرة أنفع له من كتاب يبيعه في المدد الطويلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ليربح منه ما يقدّره لنفسه من الأرباح ، وهذا من أيسر قواعد التجارة التي يعرفها الأطفال في الغرب فعلى الرجال أن يتعلموها عندنا .

من جملة طرق الرواج في الكتب جودة طبعها وحسن خدمتها ، ونقصد بخدمتها المبالغة بتصحيح أصولها وتجاربها ، وحلّ المشكلات من متونها وشروحها ، فقد كان الطابعون فيما مضى يتوهمون أن كل مخطوط صحيح صالح للطبع لا يحتاج الى اكثر من ان يدفع الى المنضد لتنضيد حروفه وترتيب صفحاته ، ويجعل على الآلة الطابعة تخرجه ملازم ملازم . والكتب التي تطبع لأول مرة والتي يتكرر طبعها تدفع الى رجل أزهري اذا كان على شيءٍ من العلم فيكون من الطبقة التي تعرف الاعراب فقط ، وليس النحو والصرف كل شيءٍ في عالم العلم .

الفرق بين الغربيين وبيننا في الطبع

رأينا كتباً طبعها أعاجم من الغربيين وهم علماء فخرجت صحيحة سالمة من الشوائب ، على ضعف ناشريها احياناً في القواعد وبعدهم عن حفظ الدساتير ، ورأينا اسفاراً طبعت في اتقن المطابع بعناية أقدر المصححين تفيض بالأغلاط ، مثال ذلك تاريخ ابن خلدون المطبوع في المطبعة الاميرية ، لو تصفحته لتعوذت بالله مما فيه من تحريف الأعلام ، وسقطاته كثيرة قد تكون كلمة او اسطراً او صفحات ، ولا تخلو صفحة منه من بضع غلطات شائنة تحرّف النص وتُحيل المعنى ، وظن مصححوه أن ما يعرفونه من قواعد الاعراب كافٍ في تصحيح مثل هذا الكتاب . وإلى اليوم نقع لأعظم المطابع خطراً اغلاط من هذا القبيل تحمرُّ لها الوجوه ، والواجب على من يعرف صنفاً من العلوم ألا يظن نفسه انه يحسن الاضطلاع بجميع الأصناف . ولعل احد الباحثين يضع لنا كتاباً فيه متاع وعبرة ، يلمُّ فيه بأغلاط المطابع ، ويدوّن لنا مايكتبه المصحّحون في اول الكتب وآخرها من مدح الطابع ومدح من طبعت في أيامه ، كأن طبع كتاب عِدلٌ لفتح قلعة او ثغر ، او اعمار بلد او قطر .

تصحيح الكتب المطبوعة مسألة المسائل في فن الكتب ، وكم من كتاب قديم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

طبع على نسخة واحدة في بلادنا وزاده جهل الطابع والمصحح أغلاطاً الى اغلاطه ، وقالوا لقارئه انت وشأنك في هذا الكتاب ، ذلك لأنه قلّ ان يُعنى أرباب المطابع باختيار مصححيهم ، يختارون اكثرهم من المرتزقة ، من الصنف الذي يصحح الملزمة ببضعة قروش ، ولو اعطى الطابع مصححاً يكون على شيء من العلم المئات لما كان مغبوناً ، ولهان على من يتناولون الكتاب ان يقتنوا ما أُتقن طبعه وعُني بتصحيحه ، وان يعطوا زيادة عشرة في المئة تضاف على قيمة الكتاب

كان تحريف جهلة الناسخين للكتب وتحريفها بصنع جهلة الطابعين مما أضاع على طلاب العلم اوقاتهم ليتوفروا على اصلاح ما كان واجباً على غيرهم أن يصححه ، ويتعبون وهم مئات ، وكان الأولى ان يتعب واحد او اثنان ولا يشغل الناس بالعبث ولا تباع منهم مجموعة اغلاط . اي كتاب لأجدادنا طبعته مطبعة من مطابعنا التي نعدها راقية قبل هذا العهد الجديد ، ولم تحص عليه الأغلاط الكثيرة حتى الأمهات من كتب الشرع واللسان ؟ وأي كتاب طبع فأنفق الطابع على تصحيحه مالاً ، وهو يعتقد ان واجبه ان يعمل هكذا بكتابه ؟ ليت كل وراق يعرف ان ما يصرفه في تقويم الكتاب لا يعدُّ مالاً ضائعاً بل لابد منه لرواج كتابه ، والامانة تتقاضاه ذلك .

عبث الطابعين الجهلة بالكتب

ان من اعظم البلاء ان تتقدم العامة فتتولى طبع الكتب ، وما كان اجدر بالخواص ان يعمدوا وحدهم لمعاناة هذه الصناعة ويرقوها بكل ما عند من سبقهم الى الحضارة بأنواع الترقي ، ويغاروا على تجديدها كما يغار المرء على حرماته ومقدساته . نعم ان بعض الوراقين اليوم في مصر هم من الأميين حقيقة لا يعرفون ما يطبعون وما يطبع لهم . وما ينتظر من أُمي ان يقوم به في باب العلم ؟ ومنهم نصف أميين وهؤلاء بلاؤهم أشد ، هم جاهلون ويدعون المعرفة . ولو كانت حكوماتنا تفكر أبداً في نهوضنا العلمي لما سمحت لرجل ان يطبع كتاباً و ينشره الا اذا كان حاملاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شهادة من المدارس الوسطى على الأقل ، فضرر الكتبي الجاهل لا يقل عن الضرر الذي يأتي على يد الصيدلي الجاهل .

ومما تألم له النفس ألا يكون عمال المطابع على شيء من المعرفة وألا يتخيروا من الشباب الدارسين . وقد شهدت اعظم المطابع الراقية في هذا الشرق القريب تختار صبياناً نصف أميين لتنضيد الحروف وعمل سائر ما يتعلق بالطبع ، ارادة الاقتصاد من أجورهم ، فيتعب بذلك المصحح كثيراً بتقويم التجارب ، ولا يخلو المطبوع مهما صحح من غلطات تبقى بعد معاودة الاصلاح مرات ؛ ولو كان المنضدون يحسنون فهم الكلام لاكتفى الطابع بتجربة واحدة .

واشهد أني أفضل ان ابتاع كتاباً عربياً طبع في الغرب من كتبنا القديمة بعشرين أو بثلاثين ضعفاً عما يباع به مثله من الكتب المطبوعة في الشرق ؛ لأني اجد في ذاك من المحسنات وكل ضروب الاستفادة والتيسير ما لا اجده في طبعاتنا ، ولا أجد في الكتاب المطبوع في ربوعنا على الأكثر الا بشاعة وركاكة ، وأغلاطاً لا تجد لها اولاً ولا آخراً . وقد اقدم بعض طابعي الكتب الصفراء في العهد الأخير على تحسين نوع الورق والحروف وجادوا بعض الشيء على المصححين فنشروا كتباً خرجوا بها بعض الشيء عن مألوف ما كانوا طبعوه وطبعه آباؤهم ، وأهم ماعملوا أنهم وسدوا النظر في الكتاب الى عالم فخرجت كتبهم عن أسلوب الكتب التجارية ، وصارت تعد في كتب العلم ، واظنهم ما خسروا بما عملوا بل نفعوا وانتفعوا ، فاذا خطوا خطوة أخرى الى الأمام وعدلوا عن صيغهم القديمة في الطبع سيحمدون ولا شك غبّ عنايتهم ، يبدؤون في الطباعة عهداً جديداً فيه الخير لهم وكل الخير للمدرسين والدارسين .

لجان علماء للنظر في الكتب

حبذا يوم نرى فيه كل مطبعة كبيرة تعهد الى لجنة من الخبراء والعلماء النظر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في كل ما تطبع ، وتراقب الكتاب من وضعه وتأليفه الى صفّ حروفه الى وضع صفحاته الى تصحيح ملازمه الى طبعها الى طيها الى جمعها وضمها كتاباً برأسه . هذا اليوم الذي تقضي به هذه اللجنة على صاحب المطبعة ان يعمل بقرارها لرواج مطبوعاته ، واختيار ما يعم الناس نفعه ، هو اليوم الذي يكون في تاريخ الطباعة بدء عهد جديد ، بل عهد حضارة ما سبق لنا نظيره منذ أخذنا نطبع الكتب ونقلد الغرب .

نعم ان طبع الكتب يحتاج الى مراقبة شديدة أهونها ألا يطبع شيء قبل أن تنظر فيه لجنة تقر نفعه ، فان المكررات من الكتب التي لدينا من نوعها الأمهات المعتبرة ، وكتب التخريف والتافهات ، وكتب المجون والغراميات وغير ذلك لا ينجينا من آفاتها الا سلطان المراقبة الشديدة في كل كتاب للقدماء والمحدثين فلا يطبع برأي طابع لا رأي له الا النفع المتوخى من الكتاب ، وغايته الوحيدة الاكتساب المرجى منه ، ولو بالقضاء على العلوم والآداب ، والاتيان على الفضائل واحياء الرذائل ، وشغل الناس بالسخف والهراء ، وما كنت أوثر التوسع في هذا الموضوع لولا أن ايراد الأمثلة ضربة لازب لتجلية المراد .

مثال من سخف الكتب المطبوعة

لو عرض طابعا كتاب « حلية الأولياء » للحافظ ابي نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ على عالم بالكتب والمؤلفين قبل ان يتكلفا طبع كتاب عظيم مثل هذا يقع في عشرة مجلدات وتبلغ صفحاته اربعة آلاف صفحة — لقال لهما ان هذا الأصل الذي طبعتما عنه وقع في الغالب الى يد أحد الجهلة فأضاف الى كل ترجمة من عنده سخافات ما انزل الله بها من سلطان ، وما كانت من كلام المؤلف ، وكتابه قد شهد له الثقات بالجودة ، وهذه الاضافات تقدح في جودته لو كانت من المؤلف ، وقرأها من شهد للكتاب بالاجادة . وهاكم مثالاً من مئات الأمثلة من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه الزيادات التي شوهت الأصل ، وجعلت الكتاب على ما فيه من الفوائد جعبة ترهات ورقاعات .

من ذلك (ص ١٠ ج ١) وهم (اي المتصوفة) المصونون عن مرامقة حقارة الدنيا بعين الاغترار ، المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار (٢٨— ١) بدأنا بذكر من اشتهر من الصحابة بحال من الأحوال ، وحفظ عنه حميد الأفعال ، وعصم من الفتور والاكسال ، وفضل الله له العهود والحبال ، ولم يقطعه سآمة ولا ملال . ونحن نقول : ان هذه العبارات المفككة المرتبكة تنادي بلسان الحال والمقال ، انها من اسخف ما دونته الأجيال ، في تراجم الرجال ، وانها املاء دجال لا يخاف الله بحال .

(٣١— ١) وقد قيل ان التصوف السكون الى اللهيب في الحنين الى الحبيب (كذا) (٣٣— ١) ان التصوف استنفاذ الطوق ، في معاناة الشوق ، وتزجية الأمور ، على تصفية الصدور (٣٩— ١) وما عهد منه (سيدنا عمر) في ملازمته للتفريد ، ومحاماته على معارضة التوحيد ، وان لا ينهنهه عن مصاولتهم العدة والعديد . (٤٨— ١) وكان (عمر) عن فناء الملاذ منتهياً ، ولباقي المعاد منتفياً ، يلازم المشقات ويفارق الشهوات وقد قيل ان التصوف حمل النفس على الشدائد الذي هو اشرف الموارد (٦٢— ١) التصوف مرامقة المودود ومصارمة المحدود (٦٨— ١) التصوف اسلام الغيوب الى مقلب القلوب (٧٠—)التصوف الارتقاء في الأسباب الى المقدرات من الابواب (٧٢— ١) التصوف البروز من الحجاب الى رفع الحجاب (٨٧— ١) التصوف النزوح بالأحوال والتخفف من الاثقال (٨٩ -) التصوف الوفاء والثبات والتسامح بالمال والجدات . في ترجمة مصعب بن عمير الداري (١٠٦) ورغب عن التعريف والتسويف ، وغلب عليه الحنين والتخويف وقد قيل ان التصوف طلب التأنيس في رياض التقديس (كلام لا معنى له) وأيضاً (ص ١١٠— ١) التصوف المفرق البينونة الى مقر الكينونة ! (١١٢— ١) التصوف اقامة الدنف المعذب على حفاظ الكلف المهذب ! (١١٨— ١) التصوف الوطئ على جمر الغضا الى منازل الأنس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والرضا (١٢١—١) التصوف استنشاق النسيم والاشتياق الى التسنيم ! (١٢٤—١) التصوف مشاهدة المشهود ومراعاة العهود ومحاماة الصدود ! (١٢٩) تصحيح المعاملة لتصحيح المنازلة ! (١٣٩—١) التصوف تسور السور الى التحلل بالحور ! (١٤٧) التصوف قطع العلائق ، والأخذ بالوثائق (١٥٧) التصوف التأله والتدله من غلبات التوله .

يا سيدي القارئ الكريم بربك اعذرني على نقل هذا الهراء ، ولو أردت لنقلت من هذه السخافات المضحكة المبكية مئات ، دسها الداسون في كتاب حاول مؤلفه أن يترجم لنساك الأمة فاختلط سمينه بغث ذاك العابث . وربما تساءل القارئ وكيف لم يهتد الطابعان الى ما شان الكتاب ؟ فالجواب هذا من عمل العلماء لا من عمل الطابعين ، ولو وقع الأصل لعارف ما تلكأ لحظة عن القول بما قلناه في هذه النقول ، وانت لو فتحت أي ترجمة لما رأيتها على الأغلب تخلو في مقدمتها من مثل هذا الهذيان . وبالله بعد ان عرفت درجة الحافظ ابي نعيم في العلم هل تجوّز عليه أن يقول : ومنهم الذاكر الفكري ، خليد بن عبد الله العصري ، كان لمحبوبه ذاكراً ، والى مشاهدته ساهراً ، وان تقول ان هذا تصوف . ووالله لا يقول هذا الا من اختل ذهنه باجماع اطباء الامراض العقلية . الا يستحق ان يأوي الى مستشفى المجاذيب من يقول (ص ٢٥٨ ج ٢) التصوف عويل حتى الرحيل وحويل الى المقيل (٢٩٠ ج ٢) التصوف التمتع بالحضور والتبتع للخطور (١٨٣— ج ٢) التصوف الصفو للزيق والرقو للفيق !

واي هذيان اعظم من هذا الهذيان ينشر في هذا الزمان منسوباً الى رجل من رجال الحديث المشهورين . ألا يوافق العقلاء بعد ذلك على تأليف لجان علمية تنظر فيما يطبع قبل أن يضيعوا وقت الناس ويؤذوا عقول ناشئتهم واذهان القراء

ولا أحب أن اختم هذه العجالة قبل ان أشير الى كتاب آخر ارتكبت في طبعه فقط مثل هذه السخافات ، عنيت به « البداية والنهاية » لابن كثير . فقد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

طبع منه حتى الآن اثنا عشر مجلداً بالقطع الكبير لا تقل عن ثلاثة آلاف صفحة وبقي منه أربع مجلدات ووقع على ما يظهر في أيدي مصحح لا يعرف التاريخ ولا يعرف الأدب ، حتى ليخيل الينا ان مصححه منضد حروف او فراش في المطبعة يرزق كل يوم خمسة قروش . هناك أسماء الأعلام محرفة تحريفاً مخجلاً حتى أنك تقرأ العَلَم على صورة في صفحة من الصفحات فاذا قطعت صفحتين أوثلاثاً تقرؤه على شكل آخر وهو هو ، وكذلك الأبيات الشعرية ، اجارك الله من تحريفها فانك اذا تلوتها تعاف الشعر وتنكر الأدب ، فان كثيراً منها لا يفهم ، وبعضها لا وزن له مطلقاً ، كأن الناظر فيه من طبقة العوام لا يحسن الوزن ولا يعرف المعنى . الا يجدر بمثل هذا الكتاب الذى يكلف طبعه المئات من الجنيهات أن يصرف على تصحيحه عشرات من الدنانير ويعهد بتصحيحه الى أناس يحسنون فن الأدب وفن التاريخ ، ولا يكتفى منهم ان يعربوا جملة صحيحة ، ويقرؤوا عدة مقاطع بلا غلط ؟ ان طبع هذا الكتاب على هذا النحو يعدُّ جناية على الأدب وتجنياً على العلم والمعارف ، وبه ثبت ان كل شيءٍ يتبدل في العالم الا عقول اكثر الطابعين في مصر فانها جامدة لا تتحرك ولا تحاول ان تتحرك .

الأمثلة كثيرة في هذا الباب وقد مثلنا لذلك بما حضرنا من امثلة ، ويرى القارئ النقاد ان هذا الموضوع جليل في ذاته يجب أن يعانيه الدارسون والمدرسون والعالمون والمتعلمون وكل من يهتمون للحياة العلمية في الأمة العربية ، ونحن الآن اذا قصدنا الطابعين فقد نقدنا من قبلُ المؤلفين ، وكل ذلك بسائق الغيرة على اوضاعنا وحضارتنا وحباً بالتجدد وبعداً عن الجمود .

هذا وقد رأينا بعض النفوس تزهد في الكتب بعض الزهد وتستغني بعض الاستغناء عن القراءة ، ومن ارتقى عقله يستحيل عليك ان تضطره الى قراءة مثل حلية الأولياء بهذه الزيادات عليه . الناس مأخوذون بما هم محكومون له من التفنن في طرق النشر الحديثة من صحف ومجلات ومذياع ، وهذا ما يدعو الى التفكير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كثيراً في مصير الكتاب والعقبات التي ستقوم في مستقبل الأيام أمامه من أجل رواجه ، وانا ليؤسفنا ان نرى الكتب وما يطبع منها لا يزيد مقدار المطبوع منه كثيراً بالقياس الى ما وصلنا اليه من الحضارة ، فالكتب لم تَرُج الرواج المطلوب بل وقفت عند حد لم تتقدم فيه الى الأمام كثيراً ، ذلك لأن ما كان يرجى أن يزيد عدد المطبوع منها بكثرة قارئيها قد اخذته الجرائد والمجلات ولا سيما المجلات التي لا تعني كثيراً بمسائل الجد ، فكان من ذلك ان شغل جمهور كبير من محبي المطالعة بالتافهات والهزليات ، وكان آباؤهم بالأمس يصرفون كل وكدهم في اقتناء كتب الجد المخطوطة ، ويفاخر حتى العوام بما اقتنوا أو ورثوا من كتب يحتفظون بها كما يحتفظ غواة العاديات اليوم بعادياتهم ولا ينزلون عنها لغيرهم ولو افتقروا .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما أُلف عن النساء

سمرنا ليلة عند صاحب لنا أديب ، ففضضنا الأحاديث نفضاً ، ثم ملنا الى ذكر النساء وأخبارهنّ والعرب وآرائها فيهنّ ، وكان في مجلسنا متأدب أخذ اللغة عن الأعاجم فنهج نهجهم في آرائه ، ونحا نحوهم في تفكيره ، فوَهم أن العرب والمسلمين قد استخفوا بالنساء فلم يحفلوهنّ أو يُعنوا بهنّ ، ولم يخصوهن بالتآليف أو يفردوا لهنّ التصانيف ، وأيد وهمه هذا بأقوال بعض المستشرقين .

وقد أردتُ تتبع هذا الزعم بالرد لتبيان وهنه ووهيه ، واستقرأت ما استطعتُ استقراءه من تراث الإسلام والعرب ، فإذا فيه تآليف حسان وتصانيف ملاح ؛ خصوها بالمرأة وجنسها ، وجلوا فيها عن أسرار وأخبار ، ولم يدعوا امراً أدركوا صلته بهن الا تكلموا عليه وبحثوا فيه .

ولو أنّ هذا التراث العظيم كان قد سلم ، لرأينا من لطائفه وطرائفه كل معجب مطرب ، ولسمعنا من أخبار النساء وأحاديثهن وأسرارهن وشذوذهن كل رقيق جميل .

١ — فقد أُلف عنهن في الجاهلية كتب كثيرة منها :

١ — كتاب « الموءودات »[1] لهشام بن محمد الكلبي النسابة الأخباري (٢٠٦)

٢ — كتاب « المعروفات من النساء في قريش »[2] لابن الكلبي أيضاً

٣ — كتاب « مناكح أزواج العرب »[3] له أيضاً

٤ — كتاب « المردفات من قريش »[4] لعلي بن محمد المدائني المحدّث المتكلم (٢٢٥)

---

(١) معجم الادباء ١٩/٢٨٨ — ٢٩٢ (طبعة دار المأمون) . والفهرست ص ٩٦

(٢) المصدر السابق (٣) الفهرست ص ٩٧ (٤) معجم الادباء ١٤ - ١٣٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ — كتاب « الكلبيات » [١] له أيضاً

٦ — كتاب « بغايا قريش في الجاهلية » [٢] للهيثم بن عدي الراوية الأخباري (٢٠٩)

٢ — ثم خصوا نساء النبي وأمهاته بالرضاع وبناته بعدد من الكتب لا يحصى منها:

١ — كتاب « أمهات النبي » [٣] للمدائني الذي مرّ ذكره

٢ — كتاب « أمهات النبي » [٤] لابن الكلبي

٣ — كتاب « أزواج النبي » [٥] لمحمد بن عمر الواقدي (٢٠٧)

٤ — كتاب « بنات النبي وأزواجه » [٦] لأحمد الرقي الراوية الحافظ الثقة .

٥ — كتاب « ازواج النبي » [٧] لمحمد بن عمر المعروف بابن القوطية وكان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً (٣٦٧) .

٦ — كتاب « أزواج النبي » [٨] لابن الكلبي .

٣ — وتكلموا على نساء المسلمين ممن أوتي الشهرة والملك، في كتب شتى منها:

١ — كتاب « أمهات السبعة من قريش » [٩] لمحمد بن حبيب وكان من علماء بغداد ومهرة مؤدبيها . (٢٤٥)

٢ — كتاب « امهات الخلفاء » [١٠] لابن الكلبي

٣ — كتاب « من تزوج من نساء الخلفاء » [١١] للمدائني وغيرها .

٤ — ثم ألفوا في أخبار النساء كتباً كثيرة بينوا فيها أحوالهن وطبائعن وطرق معائشهن . وأوصافهن وما يعجبن به او يعرضن عنه وما قيل فيهن أو روي عنهن منها :

(١) الفهرست ١٠٢ . ومعجم الادباء ١٤ - ١٣٤ (٢) معجم الادباء ١٩ — ٣١٠ . الفهرست ص ١٠٠ ، وانظر وفيات الأعيان ج ٢ . (٣) معجم الادباء ١٤ — ١٣٣ . (٤) الفهرست ص ٩٨ . (٥) الفهرست ص ٩٩ (٦) معجم الادباء ٤ — ١٣٣ . وانظر الصفدي في الوافي ج ٢ ق ٣ ص ٢١٩ . (٧) معجم الادباء ١٨ — ٢٧٥ (٨) الفهرست ص ٩٧ . (٩) معجم الادباء ١٨/١١٥ — ١١٧ . الفهرست ص ١٠٦ . (١٠) الفهرست ص ٩٨ . (١١) الفهرست ص ١٠١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ — كتاب « النساء » [١] للجاحظ (٢٥٥)

٢ — كتاب « النساء » [٢] للهيثم بن عدي (٢٠٩)

٣ — كتاب « النساء » [٣] لحفص بن عمرو العنبري ذكره ابن النديم

٤ — كتاب «اخبار النساء»[٤] لهارون بن علي المنجم وكان أديباً شاعراً راوية نديماً

٥ — كتاب « أخبار النساء » [٥] للمدائني

٦ — كتاب « أخبار النساء » [٦] للرقي

٧ — كتاب « النساء » [٧] لابراهيم بن القاسم القيرواني ، وكان شاعراً رقيقاً (٤٠٠) قال ياقوت « إن كتابه عن النساء كبير »

٨ — كتاب « اخبار النساء »[٨] لابن حاجب النعمان ، عبد العزيز بن ابراهيم ، وكان يملك خزانة لم يُر مثلها لأنها كانت تحوي على كل كتاب عين .

٩ — كتاب « النساء والغزل » [٩] لمحمد بن خلف بن المرزبان

١٠ — كتاب « النساء والعزل » [١٠] لابن قتيبة العالم الاديب المؤرخ (٢٧٦)

١١ — كتاب « اخبار النساء » [١١] لعلي بن محمد بن الشاه الظاهري .

١٢ — كتاب « من وصف امرأة فأحسن »[١٢] للمدائني

١٣ — كتاب « اخبار النساء » لابن قيم الجوزية (مطبوع)

١٤ — كتاب « اخبار النساء » لابن الجوزي (مخطوط في الظاهرية)

٥ — ثم أخذوا يؤلفون في الموضوعات الدقيقة الخاصة بهن . فبينوا احوالهن الدينية في كتب شتى منها :

١ — كتاب «الحيض»[١٣] للقاسم بن سلاّم امام اهل عصره في كل فن من العلم (٢٢٤)

---

(١) معجم الادباء ١٦ — ١٠٧ . (٢) معجم الادباء ١٩ — ٣١٠ . والفهرست ص ١٠٠
(٣) الفهرست ص ١٠٠ . (٤) معجم الادباء ١٩ — ٢٦٢ . (٥) معجم الادباء ١٤ — ١٣٣
(٦) معجم الادباء ٤ — ١٣٣ . (٧) معجم الادباء ١ — ٢١٦ . (٨) الفهرست ص ١٣٤
(٩) الفهرست ص ١٥٠ . (١٠) الفهرست ص ٧٧ . (١١) الفهرست ص ١٥٣ .
(١٢) معجم الادباء ١٤ — ١٣٣ . (١٣) معجم الادباء ١٦ — ٢٦٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ — كتاب « العدّة » [١] لمحمد بن ادريس الشافعي (٢٠٤)

٣ — كتاب « الرضاع » [٢] له أيضاً

٤ — كتاب (الطلاق) [٣] له أيضاً

٥ — كتاب (الشغار) [٤] له ايضاً

٦ — كتاب (الصداق) [٥] للمدائني

وهذه الكتب وافرة اكثر من ان تحصى فلتلتمس في الفهرست .

٦ — وقد افردوا للتزين والتجمل والتحلي كتباً كثيرة ذلك لأنها أمور ذات شأن عند النساء ، ومن هذه الكتب :

١ — كتاب (الثياب والحلي) [٦] لأحمد بن سعد ابو الحسين الكاتب الشاعر

٢ — كتاب (الحلي) [٧] لأحمد بن فارس اللغوي (٣٦٩)

٣ — كتاب (الزينة) [٨] للرقي

٤ — كتاب (التزين) [٩] له أيضاً .

٥ — كتاب (فخر المشط على المرآة) [١٠] لعلي بن محمد الظاهري الميكالي الأديب المفاكه

٧ — ورأوا أن الظرف احلى خصائص المرأة ، فألف فيه كتب شتى منها :

١ — كتاب (المتظرّفات) [١١] لاحمد بن ابي طاهر احد البلغاء الشعراء الرواة (٢٨٠)

٢ — كتاب (المتظرفين والمتظرّفات) [١٢] لعبيد الله بن احمد بن ابي طاهر

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) : معجم الادباء ١٧ / ٣٢٤ — ٣٢٧ . وانظر طبقات المفسرين ص ٢٢٧ ، وطبقات القراء ٢ ـ ٩٥ . ووفيات الاعيان ٢ ـ ٤٤٧ . (٥) معجم الادباء ١٤ ـ ١٣٣

(٦) معجم الادباء ج ٣ ـ ٣٩ . (٧) معجم الادباء ٤ ـ ٨٤ . (٨) معجم الادباء ٤٠ ـ ١٣٣

(٩) المصدر السابق . (١٠) معجم الادباء ١٤ ـ ١٥٦ . (١١) الفهرست ص ١٤٦ .

(١٢) الفهرست ص ١٤٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ — كتاب (المتظرّفات)[١] لمحمد بن احمد الوشاء ابي الطيب النحوي (٣٢٥)

٤ — كتاب (عرائس المجالس)[٢] لمحمد بن احمد بن عبد الله الكاتب المعروف بالمفجع الشيمي (٣٢٧)

٥ — كتاب (المحبوبات والمكروهات)[٣] للرقي

٨ — ولم يغفلوا عن حياة النساء الخاصة في دورهنّ وصلتهن بأزواجهنّ ، فألفوا في ذلك كتباً كثيرة منها

١ — كتاب (اختلاف الزوجين)[٤] للشافعي

٢ — كتاب (من هجاها زوجها)[٥] للمدائني

٣ — كتاب (من شكت زوجها)[٦] له أيضاً

٤ — كتاب من (مُيّل عنها زوجها)[٧] له ايضاً

٥ — كتاب (من نهيت عن تزويج رجل فتزوّجته)[٨] له ايضاً

٦ — كتاب (النواكح والنواشز)[٩] له ايضاً

٧ — كتاب (المتزوّجات)[١٠] لخالد بن طليق الراوية النسابة

٨ — كتاب (من وافقت كنيته كنية زوجته)[١١] لمحمد بن عبد الله بن حيويه

٩ — ثم تطرقوا فألفوا في علاقات الرجل بزوجه مما يكون بينهما ، وهذه التآليف كثيرة لا جدوى في سردها .

١٠ — ولقد ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فخصوا الشذوذ الجنسي بكتب وتآليف منها :

---

(١) الفهرست ص ٨٥ . (٢) معجم الادباء ١٧ـ١٩٦ . (٣) معجم الادباء ٤ـ١٣٤

(٤) معجم الادباء ١٩/٣٢٤ — ٣٢٧ . (٥) و (٦) و (٧) و (٨) : معجم الادباء ١٤ـ١٣٣

(٩) الفهرست ص ١٠٢ . (١٠) الفهرست ص ٩٥ . (١١) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق . قسم المجموعات : أدب ١١٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ — كتاب (السحق)[١] لمحمد بن حسان النملي أحد الكتاب الادباء في عهد المعتصم .
٢ — كتاب (البغاء)[٢] له ايضاً
٣ — كتاب (السحاقات والبغائين)[٣] لمحمد بن اسحاق الصيمري (٢٧٥) وكان أديباً مليحاً هجاء ونديماً للمتوكل
٤ — ولقد خصّ ابن النديم مسرداً باسماء الكتب التي الفت في (الحبائب المتطرّفات) ولم يذكر مؤلفيها منها :
٥ — كتاب (ريحانة وقرنفل)
٦ — كتاب (رقية وخديجة)
٧ — كتاب (سكينة والرّباب)
٨ — كتاب (سلمى وسعاد) وغيرها[٤] .

١١ — وكما ألفوا في أخبار السواقط فقد ألفوا في أخبار الشواعر والعواقل والصالحات . ومن ذلك :

١ — (كتاب (أشعار النساء)[٥] لمحمد بن عمران المرزباني الراوية الأخباري (٣٨٤)
٢ — كتاب (العواقل)[٦] لابن الكلبي
٣ — كتاب (بلاغات النساء) لأحمد بن ابي طاهر (٢٨٠) ذكر فيه طرائف كلامهن واخبار ذوات الرأي منهن واشعارهن في الجاهلية والاسلام (طبع سنة ١٩٠٨)
٤ — كتاب (الرسا للصالحات من النسا)[٧] لعالم الشام في القرن العاشر يوسف ابن عبد الهادي

(١) الفهرست ص ١٥٢ . ومعجم الادباء ١٨ ـ ١١٩ . (٢) المصدر السابق .
(٣) الفهرست ض ١٥٢ . (٤) الفهرست ص ٢٠٧ . (٥) معجم الادباء ١٨ ـ ٢٦٩ .
(٦) الفهرست ص ٩٨ . (٧) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٦١ ادب . جمع فيه طائفة من أخبار النساء وما ورد في الصالحات منهن وصدّر ذلك بحديث « عوّدوا نساءكم المغزل فانه أزين لهن وأرزن ... » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٢ — وقد عنوا أيضاً بأخبار القيان والجواري والمسمعات والمغنيات والنوائح وأمهات الاولاد ، وهذه الكتب وافرة جداً نذكر منها :

١ — كتاب (القيان) [١] للجاحظ
٢ — كتاب (القينات) [٢] لاسحق بن ابراهيم الموصلي
٣ — كتاب (اخبار عزّة الميلاء) [٣] له ايضاً
٤ — كتاب (قيان الحجاز) [٤] له ايضاً
٥ — كتاب (قيان مكة) [٥] للمدائني
٦ — كتاب (المغنيات) [٦] له ايضاً
٧ — كتاب (القينات) [٧] له ايضاً
٨ — كتاب (الاماء والشواعر) [٨] لأبي الفرج الأصفهاني
٩ — كتاب (القيان) [٩] ليونس بن سليمان المعروف بالمغني
١٠ — كتاب (اشعار الجواري) [١٠] للمفجع الشاعر الشيعي
١١ — كتاب (النوائح) [١١] لأحمد بن مطرف القاضي المصري
١٢ — كتاب (امهات الأولاد) [١٢] للطبري المحدّث الفقيه
١٣ — كتاب (عتق امهات الأولاد) [١٣] للشافعي

* * *

تلك هي الكتب التي استطعت ان اعثر عليها في تضاعيف الامهات وثناياها ، ولعل هناك كتباً كثيرة غفلت عنها ولم اعلم بها

(١) معجم الادباء ١٦ ـ ١٠٧ . (٢) الفهرست ص ١٤١ . (٣) المصدر السابق . (٤) المصدر السابق . (٥) الفهرست ص ١٠٢ . (٦) المصدر السابق . (٧) معجم الادباء ١٤ ـ ١٣٣ . (٨) الاغاني ـ المقدمة ـ ج ١ طبعة دار الكتب المصرية . (٩) الفهرست ص ١٤٥ (١٠) معجم الادباء ١٧ ـ ١٩٤ . (١١) معجم الأدباء ٥ ـ ٦٣ (١٢) معجم الادباء ١٨ / ٦١ ـ ٨١ (١٣) معجم الادباء ١٢ ـ ٣٢٤ — ٣٢٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٣ — على أن الى جانب هذه الكتب فصولاً كثيرة مبعثرة هنا وهناك خُصت بالنساء وأخبارهن وصفاتهن وأحوالهن وتراجمهن، كالتي كتبها ابن عبد ربه في العقد، والنويري في نهاية الأرب، والزمخشري في ربيع الأبرار (مخطوط) وابن قتيبة في عيون الأخبار، والقالي في الأمالي والجاحظ في البيان والتبيين والسخاوي في الضوء اللامع وغيرها .

* * *

افبعد ذلك كله — وإن قلّ ! — تقولون ان العرب والمسلمين لم يحفلوا بالنساء ولم يؤلفوا في اخبارهن ..؟

دمشق : صلاح الدين المنجد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغوطـة

- ٢ -

مدنية الغوطة

أجمع من وصفوا الغوطة على اختلاف العصور أن فيها قرى كالمدن ، وأن أهلها كأهل الحاضرة أي دمشق ، ومنذ القرن الثامن قال ابن بطوطة ان في اكثر قرى الغوطة الحمامات والمساجد الجامعة والأسواق وسكانها كأهل الحاضرة في مناحيهم ، ولولا أن تبدلت معالم الغوطة مرات لشهدنا عمراناً قديماً ، وما زلنا كلما حفرنا في الحقول البعيدة عن مراكز القرى نعثر على دمن تدل على عمران قديم فخم ، وعلى ثروة وحضارة . وكان بناؤهم بالحجر الصلب على بُعد المقالع عن الغوطة ، ومعظم بنيانها الآن باللبن ويقل فيها البناء بالحجر .

وحدثتنا الكتب أنه كان في بعض قرى الغوطة جوامع متقنة ، وكان فيها قصور صبرت على الأيام مثل قصر بيت لهيا في طريق الواصل من مدينة السلام بغداد والراحل اليها ، كانت لغنيّ اسمه السكسكي ، وكان له في اقليم بيت لهيا عدة قصور مبنية بالحجر والخشب الصنوبر والعرعر ، في كل قصر منها بستان ونهر يسقيه ، وكان هذا القصر في ارض حرستا . وروى المؤرخون ان القصر الذي بُني للمتوكل كان في طريق داريا ، وان البانين اختاروا هذا المكان لبعده عن ضباب الغوطة ورطوبتها ، قال المسعودي : ان المتوكل لما نزل بدمشق أبى ان ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها ، وما يرتفع من بخار مياهها ، فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة في أعالي الأرض ، وهذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة واكثر الغوطة ، وكان يعرف بقصر المأمون الى سنة ٣٣٢ ، وفي عيون التواريخ للكتبي ان المتوكل أقام بدمشق سنة ٢٤٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبنى بها القصور ، وهي التي بطريق داريا ، ثم انه استوخمها ورأى أن هواءها بارد رديء وماءها ثقيل بالنسبة الى هواء العراق ومائه ، ورأى أن الهواء يتحرك بعد الزوال في زمن الصيف فلا يزال في اشتداد يثير الغبار الى قريب من ثلث الليل ، ورأى كثرة البراغيث بها ، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمراً عجيباً ، وغلت الأسعار وانقطعت الأجلاب ، فضجر منها بسبب كثرة الشتاء والثلوج ، ومعلوم أن المتوكل كان غريب الأطوار ضجرت منه أمته فقتلته ، ولا عجب أن أضجره هواء دمشق وماؤها

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وكان في الغوطة في القرون الوسطى والقرون الأخيرة قصور مشهورة ، منها ما بناه الملوك ، ومنها ما بنته الرعية او الأغنياء . ولما انقطع عيش البادية في الغوطة أوائل هذا القرن الهجري صحت نية اغنياء دمشق ممن يملك أرضين في ضاحيتها او قراها على اقامة القصور الجميلة ، وخربت هذه القصور والدور البديعة في الثورة السورية (١٩٢٥ — ١٩٢٦) . وأهم ما أصابه الحريق والتدمير قصور برزة والقابون والعنابة وجرمانا والمنيحة والحديثة وزبدين وحمورية والافتريس وجوبر والمزّة ، ومن القرى ما دثر برمته مثل جسرين والمنيحة وبرزة كما خربت في دمشق أجمل دورها وقصورها الأثرية .

كانت الأرض الموقوفة في الغوطة كثيرة جداً ، وقد قلت في العهد الأخير واستبدل بعضها ، وكان من السلاطين من يقفون سهماً من ضيعة أو ضيعة برمتها أو ضياعاً على اعمال الخير كما فعل نور الدين محمود بن زنكي صاحب مصر والشام فانه بنى قصراً للفقراء في الربوة ووقف عليه قرية داريا اعظم قرى الغوطة واغناها ، لتكون قصورهم الى جانب قصور الأغنياء فقال الشاعر الكندي :

إن نور الدين لما أن رأى في البساتين قصور الأغنيا
عمر الربوة قصراً شاهقاً نزهة مطلقة للفقرا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبقيت قصور الأغنياء في الربوة الى القرن العاشر، وما من اثر اليوم لأنقاض قصر الفقراء ولا لقصور الاغنياء ولا لقصر المأمون والمتوكل ولا للقصور الدارسة في الربوة والشرف الأعلى والشرف الأدنى من غربي دمشق، كل أولئك خرب على عهد العثمانيين، بما لاقته البلاد في القرن الذي قبل القرن الماضي من تعدي عسكر الانكشارية وسوء ادارة القائمين بالأمر.

روى البدري انه كان في كل شرف من ذينك الشرفين عدة من المدارس والمساجد ولكل واحد ما يكفيه من الأوقاف استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء فأظهروا فيها انواع المفاسد، قال النواجي:

ألا إن وادي الشام أصبح آية محاسنه ما بين اهل النهى تتلى
وإن شرفت بالنيل مصر فلم يزل دمشق لها بالغوطة الشرف الأعلى

وفي الشرف الأعلى اليوم قامت حديقة الأمة والمشتل الزراعي ومدرسة التجهيز للذكور، وهي من المباني المحدثة البديعة، وفي الشرف الأدنى أقيمت الثكنة الحميدية والجامعة السورية والمستشفى الوطني ودار الآثار والتكية السليمانية.

ذكر ابن عبد الهادي من اهل القرن التاسع في تاريخ الصالحية من المحاسن محلات الشرفين المطلين على الميدان أي الميدان الأخضر الذي نطلق عليه اسم مرج الحشيش اليوم، وكان عامراً من الطرفين، وفيه خطب ومدارس ودور الأمراء وتدق نوباتهم في كل ليلة، وفيه حوانيت وخانات حتى يوصل منه الى النيرب ثم منه الى الدهشة ومنها الى الربوة، قال وكان جميع ما تقدم في تاريخ السبعمائة عامراً آهلاً، وتعدى عليه في عصر الثمانمائة وبطلت منه الخطب والى الآن، قال: وبقية الأماكن من الربوة الى السهم والنيرب والشبلية ومحلة طاحون الشنان ومحلة الميطور وقصر اللبان والشرفين فكلها تبدلت بعد الأماكن بالجنان.

ومع شدة اختلاط الغوطيين بأهل الحاضرة لا تزال الأمية غالبة عليهم، ولا تزيد المدارس الابتدائية التي أنشأتها الحكومة فيها عن ثنتين وعشرين مدرسة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للذكور والاناث ، والواجب أن تكون ثمانين نصفها للذكور والنصف الآخر للاناث ، ولم ترسل الحكومة اليها الوعاظ والخطباء من طبقة جيدة فأصبح المجال رحباً للمخرفين ، يؤذون العقول بخرافاتهم ويستلبون مافي الجيوب ، ويقلّ الذكاء في الغوطة ويكثر النشاط .

خرج من الغوطة أجلة المحدثين والفقهاء والأدباء والحفاظ ومنهم الحافظ الزملكاني والحافظ اليلداني ، وخرج من حرستا محمد بن الحسن صاحب الامام أبي حنيفة ، ذكر بعض من أخرجتهم أرضها ممن كتبوا في خطط هذه المدينة وغوطتها ، وعنوا بالرجال من أهلها فترجموا لهم ولا سيما لحفاظ الحديث .

نعم كانت معظم قرى الغوطة أشبه بمراكز علم ورواية ، ومن جملة تآليف الحافظ ابن عساكر من أهل القرن السادس كتاب روايات ساكني داريا ستة أجزاء ، وكتاب من نزل المزة وحدث بها جزء واحد ، وكتاب أحاديث كفرسوسية جزء واحد ، وكتاب احاديث صنعاء الشام جزءان ، وكتاب فضل الربوة والنيرب ومن حدث بهما . وكتاب حديث الحميريين وقبيبة جزء واحد ، كتاب حديث أهل فذايا وبيت أرانس وبيت قوفا جزء واحد ، وكتاب حديث أهل قرية البلاط جزء ، ومن حديث اهل زبدين وجسرين جزء واحد ، ومن حديث سلمة بن علي البلاطي جزءان ، ومن حديث أهل بيت سوى جزء واحد ، ومن حديث دومة ومسرابا والقصير جزء ، ومن حديث جماعة من أهل حرستا جزء ، ومن حديث أهل كفربطنا جزء ، ومن حديث أهل دَقَانية [1] وحجيرة وعين ثرماء وجَدَيا وطرَميس جزء ومن حديث جماعة من أهل بيت لهيا جزء واحد . ومن حديث يحيى بن حمزة البتلهي جزءان . ومن حديث أهل بزة جزء . اه وجميع هذه القرى من قرى الغوطة والذي ذكر منها صنعاء الشام أو صنعاء دمشق ، وكانت في منتصف الطريق بين دمشق والمزة خرج منها محدثون كثار ، ومنها النيرب والحميريون وفذايا وبيت أرانس وبيت قوفا والقصير

(١) ذكرها ابن طولون في ضرب الحوطة والغالب انها دثرت بعد القرن الحادي عشر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولاقانية وجديا وطرميس وبيت لهيا وقبيبة . وبعض قرى الغوطة كانت الى القرن الثامن والتاسع تزدان ببعض العلماء والأدباء ، ويكفي ان مثل الحافظ الذهبي في القرن الثامن كان يدرس في كفربطنا ، وزعم ابن طولون الصالحي ان الذهبي من جماعة من الأئمة المحدثين الذين خرجوا من كفربطنا أي انه من أهل هذه القرية .

وبعد فان الغوطة اليوم ينقصها كثير من مرافق المدنية ، اذ أتت عليها قرون كانت الحكومة تأخذ خيرها وأموالها ولا تنفق عليها واحداً في المئة مما تأخذ ، فتأخرت بمعارفها وتعطلت طرقها وجسورها ومدارسها وجوامعها ، وليس فيها غير بضع طرق معبدة في الجملة ، وهذا مما تم في العهد الأخير ، وطرقها القديمة عريضة جداً فاستصفى اكثرها بعض من يستحلون كل شيء في جمع ثروتهم

هذا وليس في الغوطة من آثار المدنية سوى خط ترام كهربائي يربط دمشق بحاضرة الغوطة الشمالية اي دومة ، وطوله أربعة عشر كيلومتراً يمر ببساتين العنابة وأرض جوبر وزملكا وعربيل وحرستا ودومة ، واذا امتد هذا الخط الكهربائي فوصل بين دومة وداريا فدمشق ماراً بأمهات قرى الغوطة الوسطى والجنوبية مثل حمورية وسقبا و كفربطنا وجسرين والحديثة وزبدين والمنيحة وجرمانا وعقربا وبلدا وببيلا والقدم و كفرسوسية والمزة ، اي ربطت الغوطتان القبلية بالشمالية ، ومدت قساطل ماء عين الفيجة الى القرى كافة (والقوم يشربون الى اليوم من آبارهم ترشح من الأنهار القذرة) تصبح قرى الغوطة محيطة بدمشق احاطة الهالة بالقمر ، وتغدو هذه المزارع والقريات كأنها بعض أحياء الفيحاء ومحلاتها ، وتنقلب بعض تلك الدساكر مصايف ومشاتي ، وكلما زاد عدد الجادات العظمى فيها وبنيت الفنادق والمقاهي تغدو الغوطة قبلة المتنزهين ، وكلما زاد عدد البيوت والقصور استحالت الغوطة من أرض زراعية الى منازل تتسع بها دمشق حتى تصبح عاصمة كبرى كالقاهرة .

اذا تم هذا يتحقق في الغوطة ما ادعاه بعض المفسرين في قوله تعالى « إرَم ذاتِ العمادِ التي لمْ يُخلق مثلها في البلاد) من أن ذات العماد هي دمشق حاضرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغوطة وكان فيها فيما قيل أربعمائة الف عمود ، وفي قوله تعالى (وآويناهما الى ربوةٍ ذات قرارٍ ومعين) من انها أيضاً مدينة دمشق بأرض يقال لها الغوطة .

طرائقها الزراعية

قال أحد العارفين ان لمدينة دمشق طابعاً خاصاً في مرافقها ومصانعها وأوضاعها ومناحيها ، قد لا ترى ما يماثله في البلدان الأُخرى ، وهذا الطابع يتناول غوطتها أيضاً ، فان الناظر في ارجائها لا يزال الى اليوم يرى الزراعة فيها على الطرق القديمة ، لم تتسرب اليها الأساليب الحديثة الا قليلاً ، ثم ان ما أدخلته من التحسن في زراعتها وصناعاتها الزراعية قد تلحظ أنها تمثلته وتبنته ، فهي تسير في معظم حالاتها على أصول الأجداد ، ولكن مع الاتقان والاحتفاظ أبداً بطابع القرون الغابرة ، ومعظم ما عملته فيها الأيدي والعقول لا يبدو عليه التجدد الا بقدر الخال في الوجه الجميل ، ذلك لأن من عادة الغوطيين الا يبادروا الى اقتباس الجديد الا اذا قامت لهم البراهين على عظيم فائدته ، ويعضون على ما لم يألفوا ، لا يخرجون عن طبيعة أرضهم ، وقد عرفوا بالصبر على استثمار الشجر واستنبات النبات .

يستخرج الغوطيون الزيت من زيتونهم ، والدبس من عنبهم ، والعصير (القمرالدين) من مشمشهم ، والورد والعطور من زهرهم ووروده ، والصابون من زيتهم ، والأجبان والسمون والزبد والقشدة من البانهم ، والطحينة والشيرج من سمسمهم ، والنشاء من برهم . ويقطفون الزيتون والجوز بعصيهم ، وينقعون القنب في حُفرهم ، ويستخرجون أليافه على أسلوبهم ، ومنها يفتلون حبالهم وخيوطهم ، ويدبغون من جلود حيواناتهم سختيانهم ، ويحيكون من صوفهم قماشهم وثيابهم ، ويتخذون من اخشابهم أدوات زراعتهم وصناديق فاكهتهم ومنجور بيوتهم ، ووقودهم من حطبهم وبناؤهم من ترابهم وما برحوا يعلفون دوابهم بالقديم من طرائقهم ، ويحرثون الأرض ويزرعونها ويسقونها على نحو ما كان يفعل آباؤهم .

وما جلب بعض الغوطيين الآلات الرافعة واعتمدوا عليها لإرواء صعيدهم إلا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لما أعوزتهم اسالة المياه من أنهارهم ، وشحت الجداول في بعض السنين فخافوا أن تصوّح ادواحهم ، وما عرفوا الأسمدة الكيماوية الا عندما قلت الأسمدة الطبيعية ، وما عادت تكفي لما طمحت نفوسهم الى تسميده وتجديده من الأرَضين ، وما ألفوا تذرية الحبوب بالآلة التي اوجدها احد مواطنيهم الا لما ثبت لهم ان تذريتها بالمذراة وتحين هبوب الريح ، مما يطيل امد استخراجها من تبنها ، وتضيع عليهم بعض حباتها .

وكأن الغوطة السمحة التربة ، المعتدله الهواء ، الصافية الأديم تعطف على الفقير أيضاً ، فلا ترى أن تقطع رزقه ، وتحرم الصانع والعامل من أبنائها أجور سواعدهم ، فلا تعمد الى الآلات والأدوات الحديثة الا في أحوال شاذة . الغوطة تتوقى الغلطة التي وقع فيها الغرب لما استعاض عن الأيدي العاملة بما اخترع من الآلات ، فهي لا تريد أن ترتكب هذه السقطة لئلا يكثر فيها الناقمون والموتورون ، ثم تعم الاشتراكية ، وتنتشر الفوضى ، ويفسد الأمن ، ويتقلقل الحكم .

ورث الغوطيون عن آبائهم معرفة تأثير الهواء في الزروع والأشجار ، وأخذوا عنهم أصول زراعة الارض واستثمارها ، ومعرفة تربتها واروائها ، وما يصلحها وما يضرها ، لا يخلون بشيء مما نقلوه عنهم ، وأساليبهم في ذلك سليمة في الجملة ، وقد تكون أقرب الى العمل من كثير مما اهتدى اليه العلم الحديث ، وصعب عليهم تطبيقه ، والانتفاع به حق المنفعة . رسخت في نفوسهم طرائقهم القديمة ، فمن الصعب ان تزين لهم طرقاً جديدة يتبعونها ، وندر من تعلم الزراعة من ابنائهم على الأصول الحديثة ، اكتفاءً بالذي تلقوه عن أجدادهم .

فعلى عاتق الحكومة ، والحالة هذه ، واجب تعليم الغوطيين فيما تربو به مكاسبهم ، وتعتقد فيه هناءتهم وناعمَ عيشهم . وعليها ان تقيم لهم المخابر والمشاتل والمناحل وحظائر الدواجن الى ما شاكل ذلك على ما يقضي به العلم العصري ، ويفرض على حكومة ترى من الواجب عليها انماء الثروة العامة ، أن توجد للعاطلين أشهراً من كل عام ، عملاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقتاتون به . ولو صرفت العناية بالصناعات الزراعية ، ولا سيما تربية المواشي والنحل وتربية الدواجن والطيور اكثر مما عليه الحال الآن ، لكان للغوطة من وراء ذلك أرباح ثابتة لا يُستهان بها تضاف الى رَيع أرضها وغاباتها ، فان البقر البلدي والماعز البلدي في الغوطة هما من عرق أصيل لا يكاد يكون له مثيل في سائر أقاليم الشام ، لكثرة ما يدرُّ من الألبان الجيدة . وهذه الأنواع من الضرع لا تعيش في غير ظلال الغوطة ، ولا تستمرئ غير مراعيها ومياهها ، ويسقط النحل بما في الغوطة من أشجار مثمرة وأزهار عطرة على غذاء شهي لا مثيل له في الأقاليم الأُخرى .

كان في الغوطة صناعات زراعية رابحة نازعتها صناعات أرقى ظهرت في اقطار أخرى ، فعطلت تلك الصناعات او ضعفت ضعفاً محسوساً لقلة الصادر منها الى الاقطار المجاورة على الأقل ، كما حدث للصابون لما نازعه الصابون الغربي الذي هو هناك وليد الكيمياء الحديثة ، وكما حدث للعطور والطيوب لما اخترعت الطيوب الاوربية نتيجة لازمة ايضاً لانتشار الكيمياء ، وكما توقفت منسوجات القطن والكتان والحرير فبارت .

وقد أبقى لنا شيخ الربوة من أهل القرن الثامن في كتابه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) صورة استخراج العطر من ازهار الغوطة وورودها ، قال : ان حراقته تلقى على طرقات المِزّة وفي دروبها وازقتها كالمزابل فلا يكون لرائحتـه نظير ، ويكون ألذّ من المسك الى مدة انقضاء الورد . وذكر صنعة اخراجه بالكركات والانابيق ، ورسم صورها وطرق استعمالها ، وما هنالك من كركات أخرى يستخرج منها ماء الورد وغيره من المياه بلا ماء بل بوَقود الحطب ، وذلك بعد حشو القرع بالورد وبلسان الثور وبزهر النيلوفر أو البان وزهر النارنج والشقشقيق والهندباء او بورق القرنفل .

قال ويحمل الورد المستخرج بالمزة الى سائر البلاد الجنوبية كالحجاز وما وراء ذلك ، وكذلك يحمل زهر الورد المزي الى الهند والسند والصين والى ما وراء ذلك ، ويسمى هناك الزهر . ومما أرخوه انه كان لقاضي القضاة الحنفية ولأخيه قطعة بأرض تسمى شور الزهر طولها مائة وعشر خطوات ، وعرضها خمس وسبعون خطوة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

باع منها عشرين قنطـاراً باثنين وعشرين الف درهم ، وذلك سنة خمس وستين وستمائة ، وهذا لم يسمع بمثله .

وفي العهد القديم أيضاً كانت بعض القرى تختص بأشياء قد لا توجد في غيرها ، فقد ذكر القرماني أن في «عقربا» العنب الزبيبي الذي لا نظير له ، واليوم ليست كذلك ، ولا يجود هذا الصنف من العنب في غير قرية داريا ، ويجود في مدينة دمشق وحدائقها انواع العنب الكبير الحجم كالبلدي والبيتموني وغيرهما ، وكان ينسب القماش الى عقربا ايضاً فبطل عمله فيها من قرنين على الأغلب

روى البدري في محاسن الشام انه كان بالغوطة أشجار تحمل الواحدة منها اربع فواكه كالمشمش والخوخ والتفاح والكمثرى ، وبها ما يحمل الثلاث واقلهن اللونان من الفاكهة قال : وهذا موجود الى يومنا هذا (القرن التاسع) فاني رأيت بها الكرمة الواحدة تطرح العنب الأبيض والاسود والاحمر ، رأيت بوادي النيربين شجرة توت تطرح التوت الابيض والاسود قال : وهذا من صنعة الفلاحة ويسمى التطعيم ، وذكر صورته كما هي معروفة الى اليوم .

ورأينا لهذا العهد قرية جرمانا تصنع أعبئة من الحرير والمرعز وغيرهما تليق ان تكون كسوة الملوك والملكات لجمال صنعها وتفويفها ، وقد نازعتها الألبسة الجديدة حتى كاد يقضى على انفع لباس اخترعته العرب في الدهر السالف ، وهو صالح لكل زمن لأنه لباس وغطاء ووطاء ، يقي البرد والحر ويتجمل به الرجال والنساء .

متنزهات الغوطة

في الغوطة عدة متنزهات هام بها الشعراء وذكروها ، وحنوا اليها حنو الحبيب لحبيبه ، منها (سَطرا) و (مَقرا) وفيهما يقول عبد الرحمن ابن خطيب داريا وقد أحسن التورية :

خليليَّ ان وافيتما الشامَ بكرة وعاينتما (الشقراء) والغوطة الخضرا
قفا واقرأا عني كتاباً كتبته بدمعي لكم (مقرا) ولا تنسيا (سطرا)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و (الشقراء) مطلة على المرج الأخضر وعندها اليوم طاحون يقال لها طاحونة الشقراء ، و (مَقرَا) المكان المعروف عند طاحون الشنان في شمالي شرقي البلد . و (سطرا) عند جامع منجك قرب برج الرؤوس من ناحية الشرق ، وكان (البلكي) متنزهـاً حسناً بين سطرا ومقرا . روى البدري ان الناس يجتمعون فيه أيام زهر السفرجل ويطلقون الماء تحت أشجارهـا ، ويوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ، ويعلقون قشور النارنج موقدة في الاشجـار ، ويضربون الخيام في بستان الحاجب ، ويقطعون فيه أياماً وأوقاتاً من اللذة والانشراح يعجز الوصف عنها .

قال ابن طولون الصالحي : أعظم متنزهات دمشق (الربوة) كان بهـا اربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة وكان بها (التخوت) وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة وطبقات على هيئة الايوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل به ، وكان بها خمسة مقاصف[1] اثنان شرقي نهر بردى وثلاثة غربيه ، وكان بها (العاشق) و (المعشوق) وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي وشماليها برج عتيق يسمى (العذول) . وقال : انها خربت ثم عمرت وهكذا مراراً ، وفي عهده بقيت مأوى للوحوش قال بعضهم :

شوقي (يزيد) وقلب الصب ما بردا (وبان ياسي) من (المعشوق) حين غدا
ومدمعي (قنوات) والعذول حكى (ثورا) يلوم الفتى في عشقه حسدا
على مغنية (بالجنك) جاوبهـا شبابة كم بها من (عاشق) سهدا
فالبدر (جبهتها) والدف (ربوتها) وخلهـا مات في (خلخالها) كمدا

و (الخلخال) و (العاشق) و (المعشوق) و (الجنك) و (الجبهة) و (الدف) كلها من متنزهات دمشق في غربي المدينة .

(١) التقصف : اللهو واللعب على الطعام والشراب ، والمقصف محله وكانت المقاصف قبل ان تكون المقاهي وكلاهما يتشابهان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يقول ابن طولون : وفي شرقي الربوة (قطية) وهو مكان كان فيه سمان وشرائحي ومقاصفي وقد خربت ، وشرقها في الطريق المذكور (الجبهة) على حافة نهر بردى له مسجد ودكاكين ومقصف ، وظل الدف والجنك معروفين الى القرون الأخيرة فقد ذكر الرحالة الخياري في القرن الحادي عشر (الباسطية[1]) من متنزهات الصالحية وقال انه مرّ أيضاً في طريقه الى الربوة بالنيربين والجنك والدف والميطور وهي أسماء متنزهات . وقد مدح الأمير منجك قصر والده في غربي المدينة بقوله :

قصر الأمير بوادى النيربين سقى ... رباك عني من الوسميّ مدرارُ
كم مرّ لي فيك أيام هواجرها ... أصائل ولياليهنّ أسحار
حيث الشبيبة بكر في نضارتها ... وللصبابة احلاف وأنصار
حيث الرياض تغنيني حمائمها ... (بالدف) و(الجنك) و(الميطور) لي جار
حيث الخمائل أفلاك بها طلعت ... زهر من الزّهر والندمان أقمار

وتشوّق ابو المحاسن الشواء الحلبي الى متنزهات دمشق ، ومنها ما دثر اسمه اليوم بقوله :

عاطياني حديثَ (سطرا) و(مقرا) ... وابسطالي في هجري الكأس عذرا
أنا مالي وشربَ كاسات خمر ... شغلتني عنهن كاسات ذكرى
كم نعمنا في (بيت لهيا) بلهو ... وعلونا (بالقصر) و (السهم) قصرا
ومررنا (بدير مران) نشدو ... فيه نظماً وتسجع الوُرق نثرا
نتفيا مابين (الارزة[2]) والقا ... بون دوحاً يبدل القيظ قُرا
إن عندي يا (بيت أبيات) و (السيـ ... ـلون[3]) شوقاً اليكما مستمرا

(١) لم يذكر اسمها فيما أمامنا من الأسفار .
(٢) أرزة كانت الى القرن العاشر موجودة كما قال ابن طولون .
(٣) بيت ابيات حارة كانت غربي الصالحية ـ قاله ابن طولون الصالحي ـ ولم يذكر في المراجع اسم (سيلون) وسيلون اليوم بستان مطلّ على الربوة من أرض المزة وهو ملك سمو الامير يوسف كمال .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بأبي (برزةً) فكم قد برزنا نتهادى فيها الى القصف جهرا
يا خليليّ ساعداني واني كنت بالحب قبل ذا اليوم غِرّا
خبراني عن (القصير[١]) و (حرنا) بخبير وددت لو كان خبرا
(معربا)و(الدريج[٢]) و (التل)جنا ت بعدنا عنها ولم نأت وزرا
و (مَنين) بها مناي فمن لي أن أقضي فيها من العمر شطرا
فثنايا على (الثنية) قصا وابسطا لي عذراً بأكناف (عذرا)
عللاني (بكفربطنا) و (جديا) وذراني من ذكر لُبنى وعَفرا
واسألا لي عن (جوبر) ثم (جر مانا) فلي فيهما مآرب أخرى
ولكم بين (دومة) و (حرستا) غرف توقف النواظر حسرى
وَدّ جفني ان لو غدا بين (يروى) و(كثار[٣]) يكاثر المزن قطرا
(فلقلبين) بات قلبي مشوقًا و (لعربين) ظلت العين عبرى
(بزملكا)و (عين ثرما)و(سقبا) و (بجسرين) ظلت اربع شهرا
لي رياض كأنهن السموا ت تضاهي زهر الكواكب زهرا
ثم قصّا عليّ أخبار (أشفا نية[٤]) تغنما بذلك اجرا
فلنا حولها مطارح لهو مسّ كف الحيا ثراها فأثرى
(حلفباتا) و (بيت قوفا) و (ببيلا) و (يلدا) قرىً بها أنا مغرى
انتحي حيثما توجهت ظلاً وأرى حيثما تلفت نهرا
ولنا تحت دوحها حرم نأ وي اليه اذا الهجير استمرا
(بحجيرا) و (تلفياتا) و (دير البا لسي[٥]) انهمكت في اللهو سرا

(١) في ضرب الحوطة ان القصير غربي كفرسوسية
(٢) مربا والدريج وحرنة ومنين والثنية ثنية العقاب من قرى جبل سنير أي قلمون، شمالي الغوطة.
(٣) ان كلمة كثار ويروى اسم قريتين أو متنزهين من متنزهات الغوطة على ما يظن .
(٤) أشفانية لم نتحققها ولعلها شفونية أو اشفونية من قرى المرج
(٥) من القرى التي لم نعرف لها ذكراً فيما لدينا من الكتب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دمن لو أقيس حسن دماها بسواها لجئت شيئاً نكراً
واذكرا (عقربا) و (دير العصاة بر[1]) لسمعي ان شئتما ان تسرا
فالى (بيت راتس) والى (دير النوا طير[2]) هزني الشوق سكرا
ولنا (بالبلاط) أوقات أنس نجتليها مجملات غرا
كم فتكنا بالهم فيها وأوسعْ ناصروف الزمان هجراً وهجرا
وشممنا من روض «راوية» نفـ ـحة ريح أذكى من المسك نشرا
يا ليالي «بكفرسوسية» كانت وهي «بالمزة» الأنيقة زهرا
ويك عودي لا اخضر عودي ان رمـ ـت مدى الدهر عن جنابك صبرا
فسقى واكف الحيا زبوة ذا ت قرار يهمي ليالي عشرا
جاء في محكم الكتاب لها وصـ ـف فماذا يقول من قال شعرا

ومن متنزهات الغوطة [السهم] وهو متصل بأرض الصالحية قال البدري في محاسن الشام: وهو درب ما بين دور وقصور وفاكهة وزهور ومياه تجري بهدير كالبحور، وفيه يقول القيراطي:

دمشق بواديها رياض نواضر بها ينجلي عن قلب ناظرها الهمُّ
على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها [نصيب] [ولا سهم][3]

قلنا: ان من متنزهاتها الخلخال، وكان هو والمنيبع محلتين، وفي محلة الخلخال سويقة وحوانيت وفرن وحمام وهي مسكن الأتراك (في القرن التاسع) وكذلك المنيبع والشرفان وبه تدق طبلخاناتهم وبها زاويتان، وفي المنيبع محلة وسويقة وحمام وافران وبها مدرسة الخاتونية وهي من أعاجيب الدهر يمر بصحنها نهر بانياس ونهر القنوات على بابها وبجوارها دار الأمير ابن منجك [قاله البدري] يتبع

(١) من قرى المرج (٢) قرية أو متنزه لم نرَ له ذكراً في الكتب.
(٣) السهم من متنزهات دمشق والغالب أن اسم نصيب هو متنزه أيضاً ولكن ليس له ذكر فيما رجعنا اليه من المصادر، ونصيب قرية من قرى حوران.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مخطوطات ومطبوعات

ديوان الشبيبي

أذكر ان السيد محمداً رضا الشبيبي هبط دمشق الشام سنة ١٩٢٠ ، وأقام بغرفة تُطل على شجرات شارع جمال باشا الذي سمي بعد انزعاج الترك عن الشام : شارع النصر ، وقد كنت أزوره في تلك الغرفة وأتمتع بسهولة خلقه ، وهدوء طبعه ، واني لفي زيارته في يومٍ من الايام اذ مرَّت بالشارع صِرْمة من الإبل يحدوها فتى أعرابي ، فوقعت عين السيد الشبيبي على تلك الإبل فانحدرت دموعه على خديه ، فبلغ مني العجب كل مبلغ ، ولكني لم اسأله عن بكائه ، ولم يستطع ان يكتم سبب البكاء ، فقال : أتعرف لماذا أبكي ؟ اني لما رأيت هذه الإبل ، ذكرت العراق وإبل العراق وصحراوات العراق ، فاشتد بي الحنين الى الوطن فبكيت .

اذا شاء القارئ ان لا يجد في هذا الخبر شيئاً ذا بال فله رأيه ، غير اني لا استطيع ان امرَّ بمثل هذا الخبر من دون ان اجعل له صلةً قوية بشاعرية السيد محمد رضا الشبيبي ، فان تلك الدموع المضطربة على خديه كانت لي عنوان شعره ، ولم اعجب بعد ما رأيت من فرط رقته من ان يكون ديوانه مرآة صادقةً تعرض علينا ما تعاقب على العراق في خلال ثلاثين سنة من احداث ، وما تقلب فيه من آلام .

وسواء أكانت هذه المرآة تعرض علينا صورة الحماسة ام الاجتماع ام الاخلاق ام الوجدان ام الوصف او الرثاء فانها مرآة من العصر الذي عاش فيه البحتري وأمثاله ، على صورها رقة ذلك العصر ، وعذوبة تلك الأيام ، والذين يرون في زمننا هذا ان الشعر العربي قد مات او كاد يموت فاني اقول لهم : طالعوا ديوان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشبيبي ، فان الشعر العربي النقي الديباجة ، الطاهر الغرض ، لا يزال حيًا ، ولا تخلو هذه النقاوة وهذه الطهارة من كثير من البساطة ، والبساطة انما هي عنوان العظمة في كل شيء ، وقد فطن السيد الشبيبي الى فضلها فقال :

متى خيروني في الكلام ونسجه رضيتُ بسيط القول لم أتأنق

ولماذا لا اذكر نموذجًا من هذا الشعر :

يا راكبين الى دمشق تزودوا منا السلام ، لكل ركب زاد
الملك مضطرب النظام ، كأنه جسد ، دمشق الشام منه فؤاد
هل في مروج الغوطتين لأهلها ولرائديها مَربع ومَراد
وهل الرُّبا حالٍ ضواف طُرِّزت وطرازها الازهار والأوراد
وشيت من الروض الاريض مطارف خضرُ الأديم ، وفوِّفت أبراد
بين الغصون ومن مشين تشابه في الحال ، كلّ مورق ميّاد
تلك القصور كأنهن قلائد فوق الشطوط كأنها اجياد
أو ما تزال على معاهد جلقٍ ترد الضيوف وتصدر الورّاد

* * *

هذا هو الشعر الذي اذا قرأته فانك تشعر بأنك تقرأ شعراً عربيًا عليه آثار بيان العرب وأسلوب العرب وتصوير العرب ، فلا عجمة في هذا البيان ، ولا غرابة في هذا الأسلوب ولا رطانة في هذا التصوير .

شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب الذخيرة أيضاً

في مثل هذه الايام من العام الماضي علق البصر بهذا السفر النفيس لابن بسام فسرحت الطرف في فهرسه ألتهم موضوعاته وانا لا اكاد اصدق من فرط السرور ان الزمان سيسمح بنشر هذا الكتاب . وقفت عند رقم يتعلق بالامام ابن حزم الذي كنت انتهيت من اصدار كتابي عنه قبيل ذلك ، فقرأت متثبتاً ما ذكر عنه ابن بسام ، فوقفت عند بعض التصحيف ولما طالعت ما كتب في التعريف بالكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي احببت ان ارفع ماعنّ لي من ملاحظة الى الأساتيذ الأجلاء الذين فرغوا انفسهم لخدمة هذا الأثر الجليل ولحضراتهم الفضل :

١ — في ص ١٤٤ هذا البيت :

كأنك بالزوار لي قد تنادروا وقيل لهم اودى علي بن احمد

ولا معنى فيه لـ [تنادروا] والصواب : [تبادروا] بالباء كما في ارشاد الأريب ونفح الطيب [ترجمة ابن حزم]

٢ — في ص ١٤٥ :

هنالك تدري ان للعبد غصة وأن كساد العلم آفته الغرب

والصواب كما يقتضيه السياق وكما في المصدر السابق :

هنالك تدري ان للعبد قصة وان كساد العلم آفته القرب

٣ — أرجح ان [تشوقوا] في قوله ص ١٤٥ :

فوا عجبا من غاب عنهم تشوقوا له ودنو المرء من دارهم ذنب

محرفة عن [تشوفوا] بالفاء بمعنى اشرأبوا ، وهو اجود .

٤ — لم اجد معنىً مناسباً لكلمة [سغب] الواردة في قوله ص ١٤٦ :

وان رجالاً ضيعوني لضيغ وإن زماناً لم انل خصبه سغب

والصحيح مافي ارشاد الأريب : وان زماناً لم انل خصبه جدب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ — وكذلك كلمة (ميقعة) في قوله ص ١٤٦ :

ذو الفضل كالتبر طوراً تحت ميقعة وتارة في ذرى تاج على ملك

والميقعة — كما في القاموس — خشبة القصار يدق عليها ؛ والمطرقة ؛ والموضع الذي يألفه البازي والمسن الطويل . وليس لأحد هذه المعاني مناسبة في البيت . وانما الصواب : « تحت متربة » كما في نفح الطيب

٦ — في ص ١٤٢ : « جهله بسياسة العلم التي هي اعرض من ايعابه » والذي احفظه : « اعوص من اتقانه »

٧ — في ص ١٤٢ : « ابوه الوزير المعَقَّل في زمانه » ولم ار مسوغاً للتشديد لأن [المعْقِل] بالتخفيف اسوغ .

٨ — في ص ١٤٢ : « فما من شرف الا مسبوق عن خارجية » ولعل صوابها : فما من شرف إلا مسوق عن خارجيته : كما في ارشاد الأريب [ترجمة ابن حزم] .

٩ — لعل الأولى في كلمة [رحم معقومة] المذكورة في ص ١٤٢ ان يقال : « رحم معقوقة » بالقاف لا بالميم

١٠ — ضبطوا في ص ١٤٤ [تحرقوا] بفتح فسكون ؛ وانما الفعل بالمعنى المذكور رباعي لا ثلاثي ؛ فالصواب : [تُحرقوا] بالضم فالسكون .

١١ — في ص ١٤٣ : « الفصل بين اهل الآراء والنحل » والمعروف من المصادر : « الفصل في الملل والأهواء والنحل » والكتاب مطبوع متداول . وكذلك كتاب « كشف الالتباس ما بين اصحاب الظاهر واصحاب القياس » صواب [ما] ان تكون [لما] .

هذا ما لفت نظري في الصفحات الخمس المتعلقة بابن حزم . وقد اعجبتني الاعجاب كله كلمة الدكتور طه حسين في ختام مقدمته :

هناك نصوص لم تستقم لنا ولم نوفق الى اقامتها ، ومن الجائز بل من الراجح ان تكون هناك اغلاط قد مرت بنا أو مررنا بها فلم نرد ان تكشف لنا عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نفسها ولم نستطع نحن ان نكشف لانفسنا عنها . ولكن الانتاج العلمي مشاركة كله ، بل أخص صفاته انه تعاون بين المنتجين والمستهلكين كما يقول اصحاب الاقتصاد. فليصلح القراء ما فات الناشرين ومن يدريهم لعلهم ان يضطروا في كثير من الاحيان الى ان يصلحوا ما فات المؤلف نفسه . والمهم ان نعمل وان نسعى جهدنا الى الخير وعلى الله قصد السبيل»

ان هذا الكلام لا يقوله الا الاثبات الثقات من العلماء الذين كثرت معاناتهم لآثارنا وتصحيحها ، والذين استطال تبحرهم وتدقيقهم . واني بعد لشاكر لكل من ساهم في هذا العمل المجيد أخلص الشكر ، مكبر لهم غاية الإكبار .

سعيد الافغاني

الآداب الاسلامية

تأليف السيد علي فكري في ٢٥٥ صفحة

طبع في مطبعة عيسى البابي بمصر سنة ١٩٣٧ م

كتاب لطيف الحجم حسن الطبع ضمنه مؤلفه الفاضل أهم ما يحتاج اليه المرء في دينه ودنياه من الآداب الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة . وقد جعل الاستشهاد فيه مقصوراً على ما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة : فكان اول ابوابه ادب المرء مع الله تعالى ثم مع رسوله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور والوالدين والاقارب والجار والصاحب وسائر الناس : كيف يزورهم ، ويجالسهم ، ويحادثهم ويؤاكلهم : فهو يذكر الآيات والاحاديث الواردة في ادب من الآداب ثم يفسرها موجزاً تارةً ومسهباً أخرى . ويعلق عليها من عنده احياناً تعليقاً فيه سهولة وفيه لين في التعبير بحيث يفهمه حتى عامة الناس . مثال ذلك تعليقه في موضوع الصدق قوله [فالتزم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ايها الإنسان نهج الصدق لتكون الصديق ذا المكانة العالية بين الناس ، والدرجة الرفيعة عند الله ، ولا تغشَ الكذب حتى لا تكون الفاجر الاثيم ، والكذاب المهين . واجعل صفحتك بيضاء نقية ، ومكانتك في المقربين علية ، ولقد صدق الشاعر في قوله :

واكرم الآداب صدق المنطق اكرمْ به اكرمْ به من خلق
اعدل شاهدٍ على الصلاح اقرب منهاجٍ الى الفلاح

ولم يستشهد المؤلف في كتابه الا بقليل من الشعر على نمط ما سمعت من هذين البيتين . ومن الشعر الذي استشهد به قصيدة ابتهالية في الحثّ على عبادة الله للشاعر اللبناني المشهور [الشيخ ناصيف اليازجي] وقد جاء في هذه القصيدة قول الشاعر [واطلب رضاه فانه لا يحقد) والقول ان الله تعالى لا يحقد على عبده المذنب تعبير مسيحي كان ينبغي للمؤلف ان ينبه اليه في ذيل الصفحة : لان وصف الله بالحقد ونفيه عنه لم يردا في الشرع الاسلامي كما لم يرد وصفه سبحانه بالحسد . بخلاف ما ورد مثل الغضب والانتقام مثلاً فان الله يوصف بهما ولكن لا يقاس عليهما غيرهما مما لم يرد .

وفي الكتاب اغلاط لغوية قليلة : من ذلك مافي ص ١٢ [دين الملة الحنفية السمحاء] وصوابه السمحة وفي ص ٤٥ [ان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم رجل يجب احترامه وتهذيبه وتوقيره] فقوله وتهذيبه صوابه ان يقال مكانه [وتعزيره] بالراء وبالزاي وكلاهما بمعنى التعظيم والتوقير ، وفي ص ٤٧ قوله [ومكالمتكم معه] صوابه ومكالمتكم اياه او له على ان التكليم هنا افصح من المكالمة وغير ذلك مما تحملنا قلته على شكر المؤلف الفاضل واكبار عنايته في ابراز هذا الأثر المفيد ، فنلفت انظار الآباء والمربين اليه .

المقربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحضارة الاسلامية

في القرن الرابع الهجري

تأليف آدم متز وتعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة طبع على نفقة بيت المغرب
الجزء الأول في ٤٥٤ الجزء الثاني والجزء الثالث في ٣٨١ صفحة
مطبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

كان مؤلف هذا الكتاب من أساتذة جامعة بال في سويسرا كتب كتابه بالالمانية ونشر بعد وفاته «١٩١٧» ثم نقل الى الانكليزية والاسبانية وتقدم احد مدرسي كلية الآداب بالقاهرة الاستاذ بوريدة ونقله الى العربية بلغة راقية راداً فيه نصوص المؤلف الى الاصول العربية التي اخذ عنها من الكتب العربية القديمة ومعتمداً على نحو اربعين تأليفاً عربياً حفظت في خزائن الكتب في باريز وليدن ولندن وبرلين وليبسيك ومونيخ وفينا مما لم يكتب له ان ينشر بالطبع ، وهو عمل شاق قام به الاستاذ الناقل احسن قيام .

وموضوع الكتاب من اجل الموضوعات المفيدة للباحثين من ابناء الشرق والغرب في هذه الحضارة الاسلامية العجيبة ، تناول المؤلف كل ما رآه مهماً في جلاء حقائقها فتكلم على المملكة وعلى الخلفاء والامراء وابناء الذمة من النصارى واليهود وعلى الشيعة ، وعرض للادارة والوزارة والوزراء والمسائل المالية ورسوم دار الخلافة والاشراف والرقيق والعلماء وعلوم الدين والمذاهب الفقهية والقضاة واللغة والادب . وافاض في الجزء الثاني في خدمة العرب لفن الجغرافيا وما حدث من التطورات في الدين والأخلاق والعادات ومستوى المعيشة واحوال المدن والاعياد والحاصلات والصناعات والملاحة النهرية والبحرية والمواصلات البرية .

كل ذلك بأسلوب الافرنج الراقي في التأليف ، يأتيك بالنصوص وقد سلكها في سلك بديع ، وما رأى ان يدخل شخصه ويبين رأيه الا عند الضرورة ، ولئن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان المؤلف لم يواته الاجل لاعادة النظر في كتابه ونشر بعده قبل ان ينقحه ويزيد وينقص فيه، إنه من خير ما كتبه الغربيون في هذه الحضارة تشهد فيه مسحة جميلة من الانصاف ومعرفة ثاقبة في ايراد الحقائق من دون عصبية ولا عنجهية ، وهذا قلّ ان يشاهد فيمن يكتبون في غيرهم من امم الحضارة الحديثة . قلّ في الناس من ينصف غيره من نفسه ، ولذلك كان معظم من كتبوا فينا من اهل الغرب كانوا اما مفرطين في كيل المديح لنا كيلاً وإما مغرضين في محاسبتنا على النقير والقطمير بدون انصاف ولا قسط ؛ اما آدم متز فنمط جديد فهو الهدوء والكمال والخلق والعلم .

ان هذا الكتاب من ابدع ما يقتنيه العربي ليقف على اقوال الباحثين في مدنية اجداده ، والشكر للمعهد الخليفي وللجنة التأليف على اختيارهما هذا الكتاب لنفع الناس . ومعظم الثناء يتوجه الى الاستاذ الناشر ولا يبعد ان يكون عانى من التعب في نقل هذا السفر البديع اكثر مما تعب المؤلف في جمع مواد كتابه ، أثابهم الله كلهم عن العلم .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء السادس حزيران سنة ١٩٤١ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠

صفحات مطوية

عنيت منذ سبع سنين بوضع تاريخ لمدينة صفد عاصمة إحدى الممالك الشامية في دولتي المماليك المصرية واستعنتُ على ذلك بالعالم المصري أحمد تيمور باشا الذي توفاه الله في سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣١ م فأعانني بكتبه وخزانته الغنية وقيد لي بيده الكريمة شتى الفوائد مما سأذكره له في مقدمة التاريخ عند تمثيله بالطبع.

أما ما أريد نشره من الصفحات المطوية فهي أيضاً من فضل الاستاذ تيمور باشا رحمه الله وقد كان بعث ببعضها الي في عداد مواد تاريخ صفد والبعض الآخر في سياق الاخبار التي تلت فتح عكا الاخير واجلاء الصليبيين عنها لأني أخذت بالعمل على اعداد المواد اللازمة لتاريخ عكا أيضاً.

ولما كانت تلك الاخبار والتراجم المنقولة عن كتب مخطوطة تتعلق بدمشق وما اليها رأيت أن في نشرها بمجلة المجمع العلمي العربي فائدة لتاريخ البلاد لأن بعض هذه الاخبار لم يدوّن في التواريخ المطبوعة

عبد الله مخلص

من كتاب تاريخ الاسلام[1] للحافظ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي

المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م نسخة دار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ

من حوداث سنة ٦٩١ هـ ١٢٩٢ م

وفي جمادى الاولى دخل دمشق الملك الاشرف ثم صلى بجامع دمشق يوم الجمعة بالمقصورة، وأسرجت له شموع كثيرة وخلع على الخطيب عز الدين الفاروقي، واقام السلطان بدمشق عشرة أيام وسار الى حلب فدخلها في اواخر الشهر بالجيوش

(١) تاريخ الاسلام للإمام الذهبي من أجلّ كتب التاريخ الاسلامي وقد أنار كثيراً من غوامض تاريخ دمشق خاصة، مما أوجز الكلام عنه في التواريخ الاخرى، وسننشر في جزء خاص من أجزاء المجمع ما جاء فيه عن تخريب المغول لدمشق سنة ٦٩٩ ـ ٧٠٠ للهجرة بتحقيق المستشرق المجري الاستاذ يوسف صومغي مع مقدمة له ممتعة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وضيفه صاحب حماة وبالغ في الاحتفال وادخله الحمام . الى ان قال : وفي ثامن جمادى الآخرة نازل السلطان وجيوشه قلعة الروم وحاصرها شهراً وثلاثة أيام . وفي حادي عشر رجب فتحت قلعة الروم بالسيف عنوة ودقت البشائر وزينت البلاد وترحل السلطان وبقي عليها عسكر الشام والشجاعي لعمارتها وترميم ما تشعث بالمجانيق. وقدم السلطان حلب وعزل عنها قراسنقر المنصوري وأمر عليها سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري متولي الساحل وامر على السواحل طغريل الابغاني وامر على قلعة الروم الامير عز الدين الموصلي . وفيه فتح الشجاعي الذاكات ، وهي معاقل الارمن على الفرات ، واخذ منها نحواً من الف نفس . وفيه بدت من الجمال المحقق معيد القيمرية هفوة في الدرس ، فقام مدرس القيمرية صدر الدين بن رزين وشكاه ، وجرت امور اوجبت ان المحقق اسلم عند القاضي شرف الدين الحنبلي وحكم باسلامه وحقن دمه ، وترك اعادة القيمرية وقايض نجم الدين الدمشقي الى اعادة الرواحية . وفي تاسع شعبان دخل السلطان دمشق مؤيداً منصوراً والأسرى بين يديه منهم خليفة الارمن ، واما نائب السلطنة بيدرا وسنقر الأشقر وقراسنقر وبكتوت العلائي وكثير من الجيش فسار الى بعلبك ثم الى جبل الجردبين (كذا) ووافاهم من جهة الساحل ركن الدين طقصو وعز الدين أيبك الحموي فنزلوا على الجبل فحضر الى بيدرا من فتّر همته عنهم ، وتمكنوا من اطراف الجيش في تلك الجبال الوعرة ونالوا منهم ، فرجع الجيش شبه المقهورين ، وحصل للجبليين الطمع والقوة ثم هادنتهم الدولة وخلع على جماعة منهم وحصل بذلك للعسكر وهن . ثم قدم بيدرا دمشق فعاتبه السلطان فتألم ومرض وزاره السلطان ثم عوفي وعمل السلطان ختمة بجامع دمشق لعافيته . وليلة نصف رمضان توفي صدران كبيران موقعان عديما النظير فتح الدين محمد بن محيي الدين بن عبد الظاهر ، ومن الغد توفي سعد الدين سعد الله الفارقي . وفي رمضان احضر الامير علم الدين الدواداري من حبس الديار المصرية الى دمشق وانعم عليه السلطان وأعاده الى الامرة وافرج عن امواله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحواصله ثم سار صحبة الركاب الشريف . وفيه ولى الخطابة دمشق [1] موفق الدين محمد بن محمد بن جيش الحموي عوضاً عن الشيخ عز الدين الفاروقي فباشر يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان وحضر السلطان يومئذ بالمقصورة . وهرب الامير حسام الدين لاجين بسبب مسك الامير ركن الدين طقصو وخرج السلطان الى المرج في طلبه ونادت المنادية بدمشق علي الامير لاجين . وفي سابع شوال دخل الشجاعي بعسكر دمشق اترا من ناحية قلعة الروم وقد فرغوا من اشتغالهم . ويومئذ قيد الامير شمس الدين الاعسر وبعث الى مصر وعزل الشجاعي من نيابة دمشق بعز الدين الحموي، وتوجه السلطان الى مصر في عاشر شوال بسحر ، وبات اهل الاسواق بظاهر البلد مرتين بالشمع الى ميدان الحصى . الى ان قال : وفي ذي الحجة قدم الشام نحو ثلثماية فارس من التتار مفقزين وتوجهوا الى القاهرة . وفي أوائلها وقيل في اول سنة اثنتين احضر السلطان بين يديه سنقر الاشقر وطقصور فعاقبهما فأقرّا انهما عزما على قتله وان حسام الدين لاجين لم يكن معهما فأمر بهما فخنقا بوتر وافرج عن لاجين بعد ان كان الوتر في حلقه ، وقيل خُنق وتُرك بآخر رمق فشفع فيه بيدرا والشجاعي فأطلقه وانزل الآخران الى البلد فسلما الى اهلهما واهلك معهما امراء منهم جرمك وسنقران والهاروتى .

سنة ٦٩٢

في المحرم حكم بدمشق القاضي حسام الدين الحنفي للضاكنين بصحة نسبهم الى جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه بعد ان سعوا وتعبوا . وفي المحرم جاءت ريح عظيمة على الركب بمعان وبرد ومشقة . وفيه نزل لصدر الدين بن الوكيل حموة شيخنا تاج الدين بن ابي عصرون عن تدريس الشامية الجوانية .

وفيه طلب السلطان من صاحب سيس قلعة بهسنا ومرعش وتل حمدون ؛ اما

(١) لعلها سقطت كلمة يجامع بين الخطابة ودمشق عند النسخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بهسنا فكانت للناصر صاحب حلب وبها نُوّابه ، فلما اخذ هولاكو البلاد كان في بهسنا الامير سيف الدين العقرب فباعها لصاحب سيس بمائة الف درهم وسلمها اليه فبقي على المسلمين منها ضرر فأذعن صاحب سيس بتسليمها واضعف الحمل مع ذلك وتسلمها نواب السلطان في رجب ودقت البشائر . وفي المحرم قدم الدواداري وجماعة من امراء الديار المصرية وعز الدين ايبك الخزندار متولياً نيابة طرابلس عوضاً عن سيف الدين طغريل الايغاني . وسرح الى حلب ابن ملي فولى بعده تدريس الرواحية الشيخ كمال الدين بن الزملكاني . وفيها طهر السلطان أخاه الملك الناصر دام بقاؤه وابن اخيه موسى بن الملك الصالح واحتفلوا لذلك بالقاهرة احتفالاً زائداً . وفيها عمل للسلطان دهليز جليل اطلس مزركش بطراز وغرم عليه اموالا عظيمة . وفيها ولى ولاية البريد بدمشق سيف الدين اسندمر في رجب . وحج بالناس الامير بكتاش الطيار . وفي صفر جاءت زلزلة هدمت وانكت في غزة والرملة والكرك . وسار من دمشق اميران وعدد من الحجارين والصناع لاصلاح ما تهدم من ابرجة الكرك . وفيها مسك الامير عز الدين ازدمر العلائي وقيد بدمشق وبعث الى مصر وتوجه من دمشق شمس الدين سنقر المساح بطلب الى مصر وجاء على خبزه بدمشق بلبان الجبلي الخزندار . وفي ربيع الآخر توجه على البريد الى مصر صاحب حماة وعمه الملك الأفضل علي وجاء مملوك لسيف الدين طعجي برسوم بالحوطة على ابن جرادة فمسك ونفذ الى مصر واخذ ماله ونكب . وفيه تردد عيارة الفرنج في البحر الى الساحل وشعثوا بانطرسوس وطلعوا الى صيدا . وفي جمادى الاولى عزم السلطان على البيكار وتقدمه الاغسر فهيأ اقامات ومؤنة من الناحية القبلية ، وقدم الصاحب ابن السلعوس في جمادى الآخرة ثم قدم بعده بيدرا نائب السلطنة ثم السلطان فنزل بالقصر . وفيه تسلم نواب السلطان حصنين للأرمن وهما كديربرت وابرما ثم تسلموا حصن بكازر وقد كان السلطان في مجيئه مر بقلعة الشوبك وبالكرك ثم بعث جماعة لخراب قلعة الشوبك ثم خرج الى المرج .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي رجب دخل دمشق الامير حسام الدين لاجين وصحبته الامير مهنا بن عيسى واخوته محتاطاً عليهم وذكر ان السلطان أمر بالقبض عليهم عند سلمية لأمر نقمه عليهم . وفي اثناء رجب رجع السلطان الى الديار المصرية ، ودرس بعد الشيخ تقي الدين بن الواسطي بمدرسة الشيخ ابي عمر الفقيه شمس الدين بن التاج ثم عزل بعد ثمانية اشهر . وفي رجب سافر طوغان نائباً عن قلعة الروم . وفي آخر رجب انكسفت الشمس وصلى بجامع دمشق خطيبه موفق الدين الحموي وخطب . وفي رمضان جاء الى دمشق مرسوم بالزام الدواوين [1] بالاسلام ومن امتنع يؤخذ منه الف دينار فأسلم اربعة في ثامن رمضان . وفي شوال بلغنا ان السلطان صادر الامير عز الدين الافرم ايبك وضيق عليه واخذ منه اموالاً كثيرة واعطى خبزه للامير حسام الدين لاجين المنصوري .

سنة ٦٩٣

في ثاني عشر المحرم قُتل السلطان الملك الاشرف بتروجه اقدم عليه نائبه بيدرا وعطف عليه بالسيف لاجين ، ثم قُتل بيدرا من الغد وحلفوا للسلطان الملك الناصر محمود بن المنصور ، وهو يومئذ ابن تسع سنين ، وهلك الصاحب ابن السلعوس تحت العقوبة المفرطة الخ .

من كتاب تاريخ الدول والملوك لمحمد بن عبد الرحيم

المعروف بابن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ١٤٠٤ م

« نسخة الخزانة التيمورية المنقولة عن نسخة المكتبة الامبراطورية في وينا بالنمسة »

في حوادث سنة ٦٦٤ هـ ١٢٦٥ م

ورحل السلطان « الظاهر بيبرس » من صفد متوجهاً الى دمشق فنزل بالجسوره وأمر بأن العساكر لا تدخل دمشق بل تبقى على حالها لتتوجه الى سيس ، ودخل

(١) لعلها سقطت كلمة عمال قبل الدواوين والمفهوم العمال غير المسلمين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دمشق جريدة ورسم بتوجه الملك المنصور صاحب حماة مقدماً على العساكر الى سيس ووصاه بما يعتمده وجهزه ، وفي ثالث ذي القعدة من هذه السنة توفي كرمون آغا ، وفي ثامنه انعم السلطان على امراء دمشق وقضاتها وارباب المناصب بالتشاريف ولما استقر السلطان بدمشق نظر في امر جامعها ومنع من مبيت الفقراء به وازال صناديقهم التي كانت ضيقت الجامع ووسعه للمصلين قال الله تعالى « في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه » قال العلماء تغلق فلا تفتح الا اوقات الصلاة ، وفي عاشر ذي القعدة الشهر المذكور جلس الاتابك مع الامير جمال الدين لكشف ظلامات الناس والتوقيع على القصص بدار السعادة وتوجه السلطان الى عذراء وضمير متصيداً وما أحضر احد صيداً الا خلع عليه السلطان حتى الغلمان والسوقية وفرغت الخلع فاطلق السلطان لهم دراهم .

من كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين

خليل ابن ايبك الصفدي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ١٣٧٢ م «نسخة الخزانة التيمورية في القاهرة»

ترجمة علاء الدين طيبرس الوزيري

طيبرس الامير الكبير الحاج علاء الدين الوزيري صهر السلطان الملك الظاهر توفي بمصر سنة تسع وثمانين وستمائة ، وكان كثير الصدقات قليل الأذية أوصى بثلاثمائة الف درهم تنفق في الجند الضعفاء ، ووصفه الشيخ شهاب الدين ابو شامة بكل قبيح فقال وفي ثالث القعدة سنة ستين وستمائة وصل من مصر الى دمشق عسكر مقدمة الامير عز الدين الدمياطي وبكر الدخول الى دمشق فخرج الناس يتلقونهم ومعهم الحاج علاء الدين طيبرس الوزيري نائب السلطنة بدمشق فلما وصل اليه ليكارشه على ما جرت به عادة الملتقين قبض الدمياطي بيده الواحدة على عضد طيبرس الوزيري وبيده الأخرى سيفه وانزله عن فرسه واركبه بغلاً وشده عليه ثم قيده وتركه بمصلى العيد ، فلما دخل الليل عليه وكل به وسيره الى مصر وهرب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أصحابه ثمّ استخرجت امواله التي بدمشق بعد ما سير منها ما كان سير مع العرب وقبضت حواصله وكان الحاجّ طيبرس قد اهلك اهل دمشق باخراجهم من بلدهم والترسيم على اكابرهم باخراجهم عيالهم وانفسهم وأهانهم وضيق على الناس بتمكين العرب من شراء الغلال من دمشق وتخويف الناس من التتار فكان البدويّ يجلب الجمل وبيعه بأضعاف قيمته ويشتري به الغلة رخيصة لأن الناس يحتاجون الى السفر الى مصر ٠

وله ترجمة بالمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤ هـ ١٤٦٩ م لا تختلف عن هذه الاّ بأنّ وفاته ذكرت بآخرها بدل ذكرها بالأول ٠

من كتاب الاعلام بتاريخ الاسلام

لأحمد بن محمد قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١ هـ ١٤٤٧ م

« نسخة الخزانة التيمورية المنقولة عن نسخة المكتبة الاهلية في باريز بفرنسة »

ترجمة القونوي

سليمان بن علي بن امين القونوي الحنفي قال ابن رافع سمع متأخراً من قاضي القضاة علاء الدين القونوي ودرس بالاقبالية ، توفي في ذي القعدة سنة ٧٦٨ ودفن بمقابر الصوفية وخلف ثروة ٠

عبد الله مخلص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القَسَم في القرآن

القسم : ضرب من ضروب التوكيد والتوثيق يؤتى به لتقوية الخبر وتحقيقه ، ومعلوم ان القرآن الكريم جاء على اسلوب كلام العرب ومناحي خطابهم ، ولذلك جاء فيه اقسام متنوعة في مواضع شتى ، لتوكيد ما تقضي الحال بتوكيده من الأخبار ، لتقريرها في النفوس ، وتثبيتها في الأذهان . وقد جاء القسم فيه على ضروب شتى : فمن القسم بذاته تعالى وصفاته الى القسم بأظهر ما يقع عليه الحس ، او يدركه العقل ، من نماذج البدائع الكونية ، الدالة على عظمة المبدع ، وبالغ حكمته ، فأقسم بالسماء وما بناها ، وبالشمس والقمر ، وسائر السيارات ، والثوابت ، وبالليل والفجر ، والصبح والضحى والنهار ، وبالعصر ، والليالي العشر ، والشفع والوتر وبالارض وبحارها وجبالها ، والتين والزيتون والبلد الامين ، والبيت المعمور ، وبالرياح المرسلات والناريات الناشرات والسحب والأمطار وبالنفس وما سواها ، وبالوالد وما ولد ، وبحياة الرسول الكريم ، وبالقرآن العظيم ، وباليوم الموعود ، وبالقوى الروحانية الصالحة ، وبالقلم وما يسطرون ، وبما يبصرون ومالا يبصرون . اما الامور المقسم عليها فلا تكاد تخرج عن اصول اربعة :

١ — تثبيت اساس التوحيد وترصينه .

٢ — تقرير أمر الرسالة والاشارة بصدق صاحبها .

٣ — البرهنة على الحياة الأخرى وما يتصل بها من حساب فثواب او عقاب .

٤ — ايضاح بعض التصرفات البشرية في هذه الحياة .

وهذه كما تراها اسس الدين واراكينه ، وقد تكلفت التفاسير بايضاح المقاصد المختلفة في هذا الباب : كما ان بعض الاعلام افرده بالتأليف . وقد كنت — ابان قيامي بتدريس التفسير في جامعة آل البيت — رأيت ان الخص زبدة ما وقفت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه من كلام الاولين ، في رسالة خاصة . مع اضافة ما عنّ لي من النقد والتحليل لبعض تلك الآراء .

وابرز ما عنيت به في رسالتي تلك البحث عن المناسبات بين المقسم به والمقسم عليه ، مما لم اوفق للوقوف على الكثير منه في كلام الأسلاف عليهم الرحمة .

ولا يخفى ان هذا النوع من التناسب يرفع من قدر الكلام ، ويزيد في روائه وبهائه . ولما كانت الانظار تتفاوت فيه والافكار تختلف ، رأيت ان انقل للقراء الكرام نماذج مما جاء في تلك الرسالة على سبيل الايجاز ، فمن ذلك قوله : (والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى ...) اقسم بالكوكب المنير الذي لا يضل السبيل ، وبه يهتدي السارون في ظلمات البر والبحر . ان النبي الكريم على اهدى السبل واقصدها . ومعلوم ان العرب تضرب الامثال بهداية النجم والاهتداء به . يقولون : فلان اهدى من النجم . ولا يضل حتى يضل النجم (وبالنجم هم يهتدون) فالمناسبة بين المقسم به وهو النجم عند انحداره في سيره على محيط دائرته ، والمقسم عليه وهو كون الرسول على انهج الطرق واقومها — ظاهرة جلية .

وقريب من هذا قوله : (فلا اقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم ...).

فالنجم من اعلام الاهتداء في الماديات ، والقرآن علم الهداية في المعنويات ، كما ان النجم يضرب به المثل في الرفعة وعلو المنزلة ، وكذلك القرآن فانه في المكانة التي لا تسامى ؛ ومواقع النجوم : مجاريها في دوائرها ، اومابينها من الابعاد المتناسبة .

ويقرب من هذا قوله : (فلا أُقسم بالخنس الجوار الكنس . والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس . انه لقول رسول كريم) فانه اقسم بالدراري التي نراها ونحن على الارض ، تجري مع الشمس ، ثم نراها كأنها راجعة حتى تختفي في ضوء الشمس ، واردف ذلك بالليل عند إدباره ، والصبح عند اقباله — على ان القرآن وحي ينقل بواسطة ملك شريف والوحي الالهي بمثابة النور يستضاء به لمعرفة مالا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تستقل العقول بادراكه (وانزلنا اليكم نوراً مبيناً) فالقسم بالنيرات ، على اثبات النور ، من المناسبة بمكان . ومعلوم ان الوحي يأتي حيناً دون حين ، وعند ظهوره تنجاب امامه دياجير الضلالة في المعنويات ، وكذلك النيرات في الماديات . والواقع ان ما يتلقاه الرسل من الوحي يتداوله اتباعهم على حقيقته حيناً من الدهر ، ثم يأخذون بالانحراف عنه شيئاً فشيئاً ، حتى تترامى الشقة بينهم وبين الاصل ، فيرسل الله رسولاً يوحي اليه مابه صلاح الفاسد وتقويم المائل ، وتجديد الداثر ، فيتلقاه أتباعه عنه على حقيقته . ثم — مع الزمن — يأخذون بالابتعاد عنه الى ان تقضي الارادة الإلهية بارسال رسول يعيد امر الاصلاح الى نصابه ، مع زيادة مايقضي الزمان بزيادته ! وهكذا . وبهذا تتجلى المناسبة بأجلى مظاهرها بين الوحي والنيرات التي تظهر حيناً فيهتدي بها المهتدون ، ثم تختفي حيناً ، ثم تظهر وهكذا كما تتضح المناسبة بين الوحي واقبال النهار ، لأن هذا للابصار ، وذلك للبصائر (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) .

فان قلت : اذا كان من ديدن اتباع الرسل — اذا طال عليهم الامد — الانحراف عن الجادة وسلوك بنيات الطرق ؛ فمن الضروي الاستمرار على ارسال الرسل ، فكيف نوفق هذا مع القول بأن محمداً (ص) خاتم النبيين ، وآخر المرسلين ؟ قلنا : ان ما أشرنا اليه كان والبشرية لم تبلغ من الرشد مكاناً علياً ، أما البعثة المحمدية فقد جاءت على حين ارتفعت مكانة العقل الانساني ، واصبح قادراً على القبض على زمام كثير من شؤون الحياة ، ولذلك عقد له القرآن الحكيم راية الزعامة ليسير في نوره الى حيث الكمال الانساني (والعلماء ورثة الأنبياء) —

وقال : (ن والقلم وما يسطرون . ما انت بنعمة ربك بمجنون ...) كان المشركون يقولون للرسول الامين : (يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون) فجاء الجواب بالسلب المؤكد ، فأقسم بأبسط عناصر القول ، وبأخص أدوات العلم ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبالعلم نفسه ، على تنزيه النبي الكريم عما رموه به زوراً وبهتاناً ، فحروف الهجاء أبسط عناصر القول ، والقلم من اوائل أدوات العلم ، ثم العلم نفسه . كل ذلك من خصائص الانسان العاقل ، فالمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه اجلى من ان تحتاج الى جلاء .

وقال : (والضحى والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى ...) اقسم بالضوء في شباب النهار ، وبالظلام عندما يضرب على الارض بجرانه انه لم يهمل أمرك أيها الرسول ولم يبغضك . جاء هذا القسم على اثر تخلف الوحي عن الرسول الكريم ، بضعة عشر يوماً ، فاشتد حزنه (عليه السلام) واندفع اعداؤه بأراجيفهم فقالوا : « ان ربه ودعه وقلاه » ومن هنا تتضح المناسبه بين المقسم به والمقسم عليه ، فالصلة بين الضياء والوحي وثيقة ، بقدر وثوق الصلة بين الظلام وانقطاع الوحي ، وفيه اشارة الى ان الوحي وعدمه يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار ، فمن كان في الليل لا ييأس من قدوم النهار ، ومن كان في النهار لا يتردد في مجيء الليل . وفي هذا تسلية للرسول (ص) وتبكيت للمرجفين من اعدائه .

وقال : (والذاريات ذروا ، فالحاملات وقراً ، فالمقسمات امراً ، ان ما توعدون لصادق ، وان الدين لواقع ...) اقسم بالريح التي تذرو البخار فينعقد سحاباً ، ثم تحمله فتجري به في اجواز الفضاء ، وتوزعه على مختلف البقاع — على صدق الموعود من البعث والنشور والحساب فالثواب او العقاب .

وفي هذا تمثيل للبدء والعود ، فقطرة الماء بعد ان تتفرق ذرات دقيقة ، وتتبعثر في متاهه الفضاء ، ترجع الى سيرتها الاولى من جديد فتنحدر الى انهارها ، فبحارها ، وان طال عليها الزمن ، وكذلك حال الانسان (كما بدأكم تعودون) فالمناسبة ظاهرة .

ومثله قوله (والمرسلات عرفاً ، فالعاصفات عصفاً ، والناشرات نشراً ، فالفارقات فرقاً ، فالملقيات ذكراً ، عذراً أو نذراً ، ان ما توعدون لواقع ...) فالمرسلات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الرياح الطليقة والعرف التتابع والعاصفات الشديدة والناشرات الرياح التي تثير ذرات الماء فتنشرها في الفضاء (يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء) والفارقات : المقسمات . والرياح واسطة يستمد منها الانسان كثيراً من المعلومات الجوية ، فهي الملقيات ذكرا اي علما ، فالرياح هي التي تبشر بالمطر قبل نزوله (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) ، كما تنذر بكثير من العوارض الجوية ، فالمعلومات المستمدة من خواص الرياح منها ما يبشر بالخير ومنه ما ينذر بالشر (عذراً او نذراً) .

وجواب القسم قوله (انما توعدون لواقع) فالمناسبة ظاهرة على ما ألمعنا اليه آنفاً .

ومن هنا نعلم ضعف القول المشهور من ان المراد بالمرسلات هنا طوائف الملائكة ، يرسلهن الله تعالى بأوامره فيعصفن في مشيهن عصف الرياح الشديدة ؛ وبطوائف أخرى تنزل بالوحي فتنشر الشرائع وتحيي بها النفوس الميتة ، وبذلك تلقى على المرسلين علماً يكون عذراً للمحقين او نذراً للمبطلين . وهذا القول — على شهرته — يأباه اسلوب العربية ، اذ لو اريد هنا الملائكة لجاءت الصفات مجموعة جمع الذكور العقلاء كما هو المعروف في العربية والمعهود في القرآن نفسه . قال : (وترى الملائكة حافين) ولم يقل حافات . وقال : (الملائكة المقربون) ولم يقل المقربات . وقال : (والملائكة باسطوا ايديهم) ولم يقل باسطات ايديها ، فلو كان المراد بالمرسلات الملائكة لجاء بصيغة المرسلين ؛ وأما التأويل المشهور وهو ان المراد طوائف الملائكة فتكلف لا داعي له ، زيادة على ما فيه من ضياع للمناسبة التي اشرنا اليها .

طه الراوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغوطة

- ٣ -

أدب الغوطة

أُعجب العرب بالغوطة منذ كانوا يرتحلون اليها في الجاهلية فردد شعراؤهم اسمها وفي مقدمتهم حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما زالت الغوطة في الاسلام يتغنى بها الشعراء ، ويعجب بها أهلها والقاصدون اليها حتى قال أبو بكر الخوارَزْمي :ان جنان الارض اربع :صُغد سمرقند ، ونهر الأُبلة ، وشِعب بوّان ، وغوطة دمشق . قال انه زارها كلها فكان في رأيه فضل غوطة دمشق على الثلاث كفضل الاربع على غيرهن ، وقال : كأنها الجنة وقد زخرفت وصُوّرت على وجه الأرض . وبالطبع لم يكن يومئذ ذكر لحدائق بلاد الغرب الآخذة بمجامع القلوب لجمعها بين الجمال الطبيعي والصناعي

يتألف من مجموع ما ورد على ألسن الشعراء في وصف الغوطة ديوان لطيف ، ومنه ما كان من الشعر الجيد لأنه صدر عن شعراء مشهورين ، وأدب الغوطة يجمع بين خصائص كثيرة منها الوصف والعاطفة والتاريخ ، وأرض كلها شعر لايستغرب فيها أن توحي الشعر للشعراء ويتغنوا بما خصها به الفاطر من البدائع ويخلدوها مجمعين على محاسنها .

ولا بأس ان نقتطف بعض باقات من تلك الازهار ونذكر بما طاب من جماع تلك الاشعار ، نقدمها متعة للنفس ، وذكرى لما في بطن الغوطة من خيرات .

أطلق البحتري على الغوطة اسم صحراء دمشق في قصيدته التي مدح بها المتوكل العباسي لما نقل دواوين الملك الى عاصمة الشام وهي التي يقول في مطلعها:

العيش في ليل داريا اذا بردا والراح نمزجها بالماء من بردى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى ان قال :

أما دمشق فقد ابدت محاسنها وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا اردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على أجبالها فرقاً ويصبح النبت في صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفاً خضلاً أو يانعاً خضراً او طائراً غردا
كأنما القيظ ولىّ بعد جيئته أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وقال الصنوبري :

امرُّ (بدير مران) فأحيا واجعل بيت لهوي (بيت لهيا)
وتبرد غلتي بردى فسقياً لأيامي على بردى ورعيا
تفيض جداول البلور فيها خلال حدائق ينبتن وشيا
فمن تفاحة لم تعدُ خداً ومن رمانة لم تخط ثديا
ونعم الدار داريا ففيها حلالي العيش حتى صار أريا
ولي في باب جيرون ظباء أُعاطيها الهوى ظبياً فظبيا
هي الدنيا دمشق لساكنيها فلست أريد غير دمشق دنيا

قال ابن منير الطرابلسي من أهل القرن السادس

حيّ الديار على علياء جيرون [1] مهوى الهوى ومغاني الخرّد العينِ
مَرَاد لهوي اذ كفى مصرّفة أعنة العيش في فيح الميادين
(فالنيربين)(فمقرى)(فالسرير)(فجم رايا) فجو حواشي جسر (جسرين)
(فالقصر) (فالمرج) (فالميدان) (فالث مرف الاعلى)(فسطرا)(فجرمانا)(فقلبين)
(فالماطرون) (فداريا) فجارتها (فآبل) فمغاني (دير قانون)

(١) جيرون سقيفة مستطيلة على عمد وسقايف وحولها المدينة تطيف بها — قاله في المعجم . وفيه أن جيرون حصن قال : والمعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقي يقال له باب جيرون وفيه فوارة ينزل عليها بدرج كبيرة في حوض من رخام وقبة خشب يملو ماؤها نحو الرمح ، وقال قوم : جيرون هي دمشق نفسها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تلك المنازل لا (وادي الأراك)ولا (رمل المصلى) ولا ثلات(يبرين[١])
واهاً لطيب غديات الربيع بها وبرد أنفاس آصال التشارين
ويطيبني[٢] لدار الروم ما شهرت (بدير مران) أعياد الشعانين
أبدت دمشق ربيعاً جلّ صانعه يأتيك في كل حين غير ممنون

والماطرون موضع قرب دمشق عدّ من بدائعها ونسب ليزيد بن معاوية قوله :

ولها بالماطرون اذا اكل النمل الذي جمعا
خُرْفة[٣] حتى اذا ربعت ذكرت من جلق بيعا
في قباب حول دسكرة بينها الزيتون قد ينعا

ويستبعد ان يقول أمير المؤمنين يزيد هذا فانهم وضعوا عليه أشياء لم يفعلها ، ومنها بيتان قيل انه قالها لما أصاب المسلمين سبأ بأرض الروم وهما :

وما أُبالي بما لاقت جموعهم بالخذقونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً بدير مران عندي ام كلثوم[٤]

وقال العماد الكاتب كاتب صلاح الدين يوسف بن أيوب :

اهدى النسيم لنا ريا الرياحين أم طيب أخلاق جيراني بجيرون
هبت تنبه أطرابي وتبعثها مني وتوجب للتهويم تهويني
وما درينا أ (داريا) لنا أرجت أم دار في دارنا عطار (دارين[٥])
ورب همّ فقدناه (بربوتها) ورب قلب أضعناه (بقلبين)
لولا جسارة قلبي ما ثبت على ال عبور من طرب في جسر (جسرين)

(١) وادي الاراك قرب مكة يتصل بغيقة والمصلى موضع بعينه في تحقيق المدينة، ويبرين من أصقاع البحرين وهناك الرمل الموصوف بالكثرة بينه وبين الفلج ثلاث مراحل وبينه وبين الاحساء وهجر مرحلتان وهو فيما بينهما (ياقوت) (٢) في القاموس : طَيَّبْته عنه صرفته وإليه دعوته كأطيبته (٣) الخرفة بالضم المخترف والمجتنى كالخرافة (٤) الموم البرسام وأم كلثوم امرأته والخذقونة أو الغذقدونة بلد في الروم وهو الثغر الذي فيه المصيصة وطرسوس وأذنة وعين زربة
(٥) دارين فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند (ياقوت)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يصبيك(ميطورها)طوراً(ونيربها) طوراً ويوليك احساناً (بتحسين [1])
نعيمها غير ممنوع لساكنهـا كالخلد والمن فيها غير ممنون
أهوى مقري(بمقرى) والرياض بها للزهر ما بين تفويف وتزبين
هاجت بلابل قلبي المستهام بهـا بلابلُ الأيك غنتنـا بتلحين
تتلو (بسطرا) أساطير الغرام على صوامع الدوح وُرق كالرهابين
قمريها مقريء يشدو بنغمتـه آياً يعلمهـا من غير تلحين

وختمها بقوله :

حرستما في (حرستا) العيش من شظف دوما (بدوما) على حفظ القوانين

ولابن منقذ الكناني في وصف دمشق حاضرة الغوطة الكبرى وما اليها قصيدة مطولة جمع بها كل المحاسن ومما قال فيها :

وإذا مررت على المنازل معرضاً عنها قضى لك حسنها ان تقبلا
ان كنت لا تستطيع ان تتمثل الـ فردوس فانظرها تكن متمثلا
واذا عنان اللحظ اطلقه الفتى لم يلق الا جنـة او جدولا
او روضـة او غيضـة او قبـة او بركة او ربوة او هيكلا
او وادياً او نادياً او ملعبـا او مذنباً او مجدلا او موئلا
او شارعاً يزهو بربع قد غدا فيـه الرخام مجزعاً ومفصلا
وفواكه متخالف أصنافهـا ممـا يشوقك مطعماً وتأملا
مصفر تفاح بدا في أحمر يحكي المحب أتى الحبيب مقبلا
والورد مثل الخد يعلوه من الـ ريحان صدغ شعره قد رجلا
وبنفسج كنفاضـة من اثمدٍ تبديه أجفان البكاء تذللا
وتخال نورَ الباقلاء اذا بدا للواحظ الأبصار طرفاً احولا

(١) لم نعرف قرية أومتنزهاً بهذا الاسم.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نشرت مطارفه وجاءك نشرها فحسبتها وشيا تأرج مندلا
ويهزُّ مرُّ نسيمها أشجارها فتخال غادات تشكت إفكلا (١)
وعلت غصون خلافه محمرةً وهفت بها ريح فضاهت مشعلا
واذا البلابل اسمعت ترجيعها السالي تراجع وَجده متبلبلا
ومتى هوى وَرق الغصون وجدته ذهباً وكان زمرداً لما علا
وكأن واديها قراب اخضر يستل من بردى حساماً منصلا (٢)

وقال ابن عُنين وهو بالهند يتشوق الى دمشق وغوطتها

حنين الى الأوطان ليس يزول وقلب عن الأشواق ليس يحول

الى أن قال :

كأن الثريا غرّة وهواءهم له من وميض الشعريين حجول
ألا ليت شعري هل ابيتن ليلة وظلك (يا مقرى) عليّ ظليل
وهل أريني بعد ماشطت النوى ولي في ذرى روض هناك مقيل
دمشق فلي شوق اليها مبرح وإن لجّ واش او ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها عبير وانفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل
فياحبذاالروض الذي دون(عزتا) سحيراً اذا هبت عليه قبول
ويا حبذا الوادي اذا ما تدفقت جداول (باناس) اليه تسيل
وفي كبدي من(قاسيون)حرارة تزول رواسيه وليس تزول
اذالاح برق من(سنير)تدافعت بسحب جفوني في الخدود سيول
فلله أيامي وغصن الصبا بها وريق واذ وجه الزمان صقيل

وعزتا او عزة قرية من نواحي وادي بردى ربما كانت قرب الفيجة ، وقد

(١) الرعدة من الخوف أو البرد (٢) حسام منصل مخرج من قرابه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أكثر الشاعر من ذكرها في ديوانه ، ويقول ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار: ان عين الفيجة تخرج من مكان تحت حصن عزتا فلعلها هي التي يتغزل بها الشاعر.

وقال : في روضة (بالنيربين) أريضة رضعت أفاويق السحائب حُفَّلا
أنى اتجهت رأيت ماءً سابحاً متدفقاً او يانعاً متهدلا
وكأنما أطيارها وغصونها نغم القيان على عرائس تجتلى
وكأنما الجوزاء ألقت زهرها فيها وأرسلت المجرة جدولا
ونير معتل النسيم بروضها فتخال عطاراً يحرق مندلا

وقال فتيان الشاغوري يصف أصول أنهار دمشق ويستفتح ببردى ، وهو من أهل القرن السابع :

كأن طيور الماء فيه عرائس حُجلين على شاطيه خضر الغلائل
اذا كرعت فيه تيقنت أنها تزق فراخاً وهي زغب الحواصل
وكم سمك فيه عليه جواشن من التبر صيغت وهو بادي المقاتل
جريح بأطراف الحصا فخريره أنين له من جس تلك الجنادل
اذا قابل النهر الدجى بنجومه أرانا بقعر الماء ضوء المشاعل
تغلغل في الوادي فوافى كقينة منعمة حسناء ليست بعاطل
فعانقها حتى انثنت مشعلة تقل على ظهر الصفا بطن حامل

قال ياقوت وكان حسان بن نمير المعروف بعرقلة الدمشقي يذكر (جلق) ويصف كثيراً من نواحيها ، وجلق كحمص بكسرتين مشددة اللام وكقنب دمشق او غوطتها .

ومن أجمل ما ورد فيه اسم جلق من الشعر القديم ابيات لأبي فراس طراد بن علي السلمي الدمشقي المتوفى سنة اربع وعشرين وخمسمائة وهي :

يا نسيماً هبَّ مسكاً عبقاً هذه أنفاس رَيا [1] جلقا

(١) الريا الريح الطيبة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كفَّ عني والهوى ما زادني برد أنفاسك الا حُرَقا
ليت شعري نقضت أحبابنا يا حبيب النفس ذاك الموثقا
يا رياح الشوق سوقي نحوهم عارضاً من سحب عيني غَدِقا
وانثري عقد دموع طالما كان منظوماً بأيام اللقا

ذكر الصلاح الكتبي ان هذه الابيات اشتهرت وغنى بها المغنون، وروي عن بعضهم انه مرَّ يوماً ببعض شوارع القاهرة وقد ظهرت جمال كثيرة حُمولتها تفاح فتحي من الشام فعبقت روائح تلك الحمول فأكثر التلفت لها، وكانت امامه امرأة، ففطنت لما داخله من الاعجاب بتلك الرائحة فأومأت اليه وقالت: هذه أنفاس ريا جلقا.

ومن قصيدة وازن بها عرقلة قصيدة أبي نواس (أجارة بيتينا أبوك غيور) مدح بها صلاح الدين يوسف بن أيوب وقصده بها الى مصر كما فعل أبو نواس في قصيدة الخصيب جاء فيها.

عسى من ديار الظاعنين بشير ومن جور أيام الفراق مجيرُ
لقد عيل صبري بعدهم وتكاثرت همومي ولكن المحب صبور
وكم بين اكناف (الثغور) متيم كئيب غزته أعين وثغور
وكم ليلة (بالماطرون) قطعتها ويوم الى (الميطور) وهو مَطير
سقى الله من (سطرا) و(مقرا) منازلاً بها للندامى نضرة وسرور
ولازال ظل (النيربين) فانه طويل ويوم المرء فيه قصير
ويا (بردى) لازال ماؤك بارداً وماء الحيا من حافتيك نمير
أبى العيش الا بين اكناف جلق وقد لاح فيها أشمس وبدور

وقال عرقلة أيضاً:

أما دمشق فجنات مزخرفة للطالبين بها الولدان والحورُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما صاح فيها على أوتاره قمر إلا وغناه قمري وشحرورُ
يا حبذا ودروع الماء تنسجها أنامل الريح الا أنها زور

وقال :

تؤرّق ورقُ الغوطتين لواحظي وينحل جسمي حب غزلان (جاسم)[1]
أأحبابنا ان كنتم قد عزمتمو على البعد من أطلالكم والمعالم
فلا ترسلوا برقاً الى غير ساهر ولا تبعثوا طيفاً الى غير نائم

وقال :

دمشق حبيت من حي ومن نادي وحبذا حبذا واديك من وادي
يا رائحاً غادياً عرّج على بردى وخلني وحديث الرائح الغادي
كم قد شربت به من ماء دالية في ظل دالية تنبيك عن عاد
في جنب ساقية من كف ساقية كادت تثنى بقد غير ميّاد
لها بعيني اذ ماست معاطفها جمال مياسة في عين مقداد

وقال ابن الدهان الموصلي من قصيدة

نشوى تغنى لها ورق الحمام على أوراقها ويد الأنواء تسقيها
صفالها الشرب فاخضرت أسافلها حتى ضفا الظل وابيضت أعاليها
وصفق النهر والاغصان قد رقصت فنقطته بدُرّ من تراقيها
كأنما رقصها أوهى قلائدها وخانها النظم فانثالت لآليها
واعين الماء قد أجرت سواقيها والأعين النجل قد حارت سواقيها
وقابل الغصن غصن مثله وشدت أقمارها فأجابتها قماريها

ومنها :

سماء دوح ترد الشمس صاغرة عنا وتبدي نجوماً في نواحيها
ترى البدور بها في كل ناحية ممدودة للنجوم الزهر ايديها

(١) جاسم من قرى حوران ينسب إليها ابو تمام الشاعر العظيم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا الغصون هززناها لنيل جنىً صارت كواكبها حصباء ارضيها
من كل صفراء مثل الماء يانعة تخالها جمر نار في تلظيها

وقال عين بصل الحراني من قصيدة :

اما ترى الأرض اذ أبكى السحاب بها آذارها ضحكت اذ جاء نيسانُ
والزهر كالزهر حياه الحيا فبدت في الروض منه الى الأبصار ألوان
زمرّد قضب فيها مركبة جواهر ويواقيت ومرجان
كأنما الورد خد الحب حين غدا له العذار سياجاً وهو ريحان
كأن منثورها اذ لاح مبتسماً جيش من الروم بانت منه صلبان
كأنما البان اهدى المسك حين بدا فعطر الكون لما أورق البان
كأن ريح الصبا طافت بخمر هوى من الرياض فكل الكون نشوان
كأنما حمرة التفاح خدّ رشا لي في هواه عن السلوان سلوان
كأن نارنجها نار وباطنه ثلج وفيه لجين وهو عقيان
والطير تُطرب بالعيدان نغمتها ما ليس يطرب بالأوتار عيدان
أبدت فنوناً فأفنت صبر سامعها بالنوح اذ حملتها فيه افنان
بلابل هيجت منا بلابلنا وهاج منا صبابات واشجان

وقال مجد الدين الاربلي يتشوق الى دمشق من قصيدة :

مواطنُ فيها [السهم] سهمي فكلنا نحث مطايا اللهو فيه ونُعنقُ
كلا جانبيه معلم بمجمد من الماء في اطلاله يتدفق
اذا الشمس حلت بينه فهو مذهب وان حجبتها دوحه فهو أزرق
وان فرّج الأوراق جادت بنورها فَرَقم[1] أجادته الاكف منمق
أطل عليه قاسيون كأنه غمام معلى او لغام معلق

(١) الرّقم ضرب مخطط من الوشي او الخز او البرود

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تسافر عنه الشمس قبل غروبها وترجف اجلالاً له حين تشرق
وتصفر من قبل الأصيل كأنها محب من البين المشتت مشفق
وفي (النيرب) المرموق للبر سالب من النظر الزاهي وللبر مونق؟
بدائع من صنع القديم ومحدث تأنق فيه المحدث المتأنق
رياض كوشي البرد تزهو بحسنها جداولها والنور بالماء يشرق
فمن نرجس يخشى فراق فريقه ترى الدمع في أجفانه يترقرق
ومن كل ريحان مقيم وزائل تضاعف رياه الرياح فيعبق
كأن قدود السرو فيه موائساً قدود عذارى ميلها يترقرق
اذا ما تداعت للتعانق صدها عيون من النوّر المفتح ترمق
وقصر يكل الطرف عنه كأنه الى النسر نسر في السماء محلق
زها ببديع الوشي حسناً كأنما مدبّج روض في نواحيه ملصق
وكم جدول جار يطارد جدولاً وكم جوسق عال يوازيه جوسق
وكم بركة فيه تضاحك بركة وكم قسطل في الماء للماء يدفق
وكم منزل يغشى العيون كأنما تألق فيه بارق يتألق
وفي (الربوة) الشماء للقلب جاذب وللسمع اصمات وللعين مرمق
فهام بها الوادي ففاضت عيونه فكل قرار منه بالدمع يملق
تكفل من دون الجداول شربها (يزيد) يصفيه لها ويصفق
اذا أشرف الولدان من شرفاتها رأيت بدوراً في بروج تألق
وفي (بردى) مغنى يشوق ومنظر يروق ومأوى للسرور ومطرق
اذا أنت من أعلاه اشرفت ناظراً تجيل عنان الطرف فيه وتطلق
رأيت به بحراً من الدوح مزبداً وغدرانه حيتانه منه ترمق
تميل مع الأفنان فيه كأنها نشاوى وما دار الرحيق المعتق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتعطف اعطاف الغصون حمامة اذا ما تغنت والغدير يصفق
وتجمع فيه كل حسن مفرق وشمل الأسى عن حاضريه مفرق
كأن رياض الغوطتين جنوده يقسم فيها جوده ويفرق

وهكذا اجاد وأطال وذكر المزة وسطرا ومقرا وبيت ابيات وجسرين وتل راهط وبعض شوارع دمشق وجامعها توفي سنة ٦٩٧

وقال ابن الصائغ العروضي (٧٢٢ هـ) يتشوق الى عاصمة الغوطة ايضاً ويذكر أرياضها ورياضها بدأها بقوله :

لي نحو ربعك دائماً ياجلق شوق أكاد به جوىً أتمزق

الى ان قال مخاطباً دمشق :

ولكم أُحدث عنكِ من لاقيته وجميع من سمع الحديث يصدق
والأرض في عرض وطول دائماً لم يحو مثلك غربها والمشرق
لله (وادي النيربين) وظله لا (الرقمتين) و(رامة) و(الأبرق)[1]
وسقى ديار (الصالحية) وابل يهمي على تلك المنازل مغدق
و (السهم) ماافترت ثغور أقاحه الا ودمع سحابه يترقرق
كم فيه من قصر منيف مشرف يبدو به قمر منير مشرق
(وبيت لهيا) لا تعداه الحيا طلل عليه من النضارة رونق
هو منزل آثاره مشهورة ولأهله عهد عليّ وموثق
وحباك يا أطلال (جوبر) واصلا غيث مريع مستهل مشفق
لله مرحة[2] ذلك الربع الذي قلبي يهيم به وذاك الجوْلق[3]

(١) الابرق في اللغة والبرقاء حجارة ورمل مختلطة وكذلك البرقة وهي عدة اماكن تضاف الى امكنة أخرى . ورامة منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة الى مكة وفيها جاء المثل : تسألني برامتين سلجما . والرقمتان تثنية الرقمة وهو مجتمع الماء في الوادي والرقمتان روضتان احداهما قرية من البصرة والأخرى بنجد .

(٢) المرح شجر عظام اوكل شجر لا شوك فيه او كل شجر طال (القاموس) (٣) الشوك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والوادي الشرقي لا برحت به ديم تسح ووبلها يتدفق
فغياضه ورياضه كعيونه هذا يعوم به وهذا يغرق
ولكم قطعت به زماناً لم أزل أشتاقه ما دمت حياً أُرزق
في سكر (زبدين) الى (جسرين) كم حيا الحيا حيّاً عليه رونق
فالواديان كلاهما الغربي والـــشرقي نزهة من برفق يرمق
أنى اتجهت رأيت دوحاً ماؤه متسلسل يعلو عليه جوسق
و (القصر) و(الشرفان) و(الشقراء) (والميدان) عشقاً للذي لا يعشق
فلكم حوت تلك المنازل صورة فيها الجمال مجمع ومفرق
فمخضب ومؤزر ومعمم ومزنر ومبرقع ومقرطق
كم من غزال بالنفوس متوج وقضيب بان بالعيون ممنطق
والريح تكتب والجداول أسطر خط له نسخ الربيع محقق
والطير يقرأ والنسيم مردد والغصن يرقص والغدير مصفق
ومعاطف الأغصان أثنتها الصبا طرباً فذا عار وهذا مورق
وكأن زهر اللوز أحداق الى الزوار من خلل الغصون تحدق
وكأن أشجار الرياض مرادق في ظلها من كل لون نُمرق[1]
والورد بالألوان يحلو منظراً ونسيمه عطر كمسك يعبق
فبلابل منها تهيج بلابلاً وكذاك أثواب الشقيق تَشقق
وهزاره يصبو الى شحروره ويجاوب القمريّ فيه مطوق
وكأنما في كل عود صادح عود حلا مزمومه والمطلق
والوُرق في الأوراق يشبه شجوها شجوي وأين من الخليّ الموثق
تتلو على الاغصان اخبار الهوى فيكاد ساكن كل شيء ينطق

(١) النمرُق والنمرقة مثلثة الوسادة الصغيرة والنمرقة بالكسر من السحاب ما كان بينه فتوق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن أجمل ما يروى في ادب الغوطة قصيدة عبد المنعم الجلياني الأندلسي شاعر صلاح الدين ، وكان نظم فيه عشرة دواوين قال :

عهود ليلى وما ضمت لياليها أهدت جديد صباباتي بواليها
لا تقدحي في ضنا جسمي معاتبة فشعل أعضائه الأنفاس توريها
أيام جلق والأهواء مسعدة ونضرة العيش تنهيها مباديها
في الغوطة الغبطة الممدود نعمتها أرواح جنة عدن في نواحيها
جلنا بأعطافها نرعي نواظرنا منادحاً يزع الأوصاب زاهيها
حتى استقلت بنا وخادة رُسم مضمرات غليظ قلب حاديها
يفري المهامه مما استصرخت فرقاً أجاب داعيها أو خاب راعيها
بطاويات الفلا ثقلاً حقائبها ورامياتُ الدجى خفاً هواديها
كأن من بمطاها في ذرى قزح في كفه النسق الثامي بثنيها
اذا وخدن فما تنحاز أرجلها وان زملن فما تمتاز أيديها
شتى المطالب جمع في مساربها قصوى المنازل دنيا في مساريها
وردن مصر فأبقت من تذكرها دمشق ناراً نواريها فنوريها
ويومنا والمنى تعطي أعنتها طوع القياد وتجني حب جانيها
والمرج كالعين والأنهار ادمعها وظل شجرائها جفن يغشيها
كأنه ثبج[1] يحوي زمردة أو طرف زرقاء مكحول مآقيها
للطرف والطرف في ميدانه نزهٌ تأتي النفوس له مرضى فيشفيها
تُرخي الضحى والعشايا وسطه عذباً تعلو الظهيرة فوضاها فتزويها
ونحن نرفل في ثني ملاءته مقلصاً ذيلها طوراً ومضفيها
أنسيننا ذات خلخال تجول به ولا يجول ويجلوه تثنيها
شق الحياة مزاج الروح جائلة في رُوعه فمعانيه معانيها

(١) امالي الامواج

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لو لم يشق حسنها شاقت جبلتها ... قبل التلاقي تلاق في مبانيها
تجر للدّل ذيلاً في ترقبها ... وتشعر الشمس ليلاً في تراقيها
وما نسيت فلا انسى عشيتنا ... (بالنيربين) وقد رقت حواشيها
للآبنوس على الغيطان راصعة ... من الاصيل وعاجًا في روابيها
وساجع غرد في يانع خضل ... ترتج قضبانه أنى يغنيها
وقفت بين سماءين الكواكب من ... فوقي وتحتي نجوم لست أُحصيها
من كل زاهرة غضراء باهرة ... تفرق الحسن نهبًا في نواحيها
قد فوّف الناجم النامي أسافلها ... وزخرف الساجم الهامي أعاليها
وأزهرت فبرت حسني ديابجها ... واثمرت فمرت اسنى أياديها
وصافح الكرمة التفاح معتنقًا ... فاحمر نشراً لما تطوي دواليها
والورد خجلان من ضحك البهارله ... والظلّ يغضبها طوراً ويرضيها
والحمل شهب بأفق القضب طالعة ... والياسمين سحاب فوق أرضيها
كم سطرت فيه كف الصنع من حكم ... بقرا بها أثر الابداع قاريها
من نظم مشتبه في جيد مختلف ... يسقى بمتحد شتى مجاريها
السارحون جدام في مناشرها ... والسائحون مداهم في مطاويها

* * *

وليلة الربوة الشماء معلمة ... حتى الصباح بروح الذكر نحييها
مأوى ابن مريم في مسرى سياحتها ... قد بوركت بمعانيه مغانيها
تحفها سبعة لو سُد مسربها ... لطم شامخة الآطام طاميها
كأنها الحجر الملقى عصاه به ... موسى ففجر للأسباط جاريها
كأنها درة أضحى (يزيد) لها ... خيطا بلبات آكام تواليها
مَعينة بجبار يلتطمن بها ... مُعينة لخيار أخبتوا فيها

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وصخرة المزة الغراء ناطحة قرن الغزالة في مبدا تجليهـا
محلة السفح ما شيب السفوح بها بل مثل ما روّق الصهباء ساقيها
يغذى بها القلب أنفاساً بلا كدر فلن يحل الوبا أطراف ثاويها
ان الهواء اذا رقت مناسمـه في بلدة لطفت أخلاط أهليها
واذكر ضحى الشرف الاعلى اذا طلعت ذكاء من أفق أشجار تواريهـا
ومنظراً يستبي الألباب رائعه ويشغل النفس عن أشهى أمانيها
يرنو الى بردى ينساب في بَرَد في بُردتي سندس خضر حواشيها
تكسر الماء بلوراً وراكده كالفضة الحوق[1] مصقول عواليها
وحيث شئت فأشجار تمد على ال أنهار ظلاً يغشي من يوافيها
فكل صورة أنس في منازلها وكل نزهة نفس في روابيها
لولا أمور وأرزاق مقدرة لم يرتحل عن دمشق حاضر فيها

وقال في وصف الغوطة امير الشعراء احمد شوقي من المعاصرين من قصيدة :

آمنت بالله واستثنيت جنته دمشق روح وجنات وريحان
قال الرفاق وقد هبت خمائلها الارض دار لها (الفيحاء) بستان
جرى وصفق يلقانا بها (بردى) كما تلقاك دون الخلد رضوان
دخلتها وحواشيها زمردة والشمس فوق لجين الماء عقيان
والحور في (دمر) اوحول (هامتها) حور كواشف عن ساق وولدان
و(ربوة)الواد في جلباب راقصة الساق كاسية والنحر عريان
والطير تصدح من خلف العيون بها وللعيون كما للطير ألحان
وأقلبت بالنبات الأرض مختلفاً أفوافه فهو اصباغ والوان
وقد صفا (بردى) للريح فابتردت لدى ستور حواشيهن افنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا جفت من الماء أذيال وأردان

(١) الحوّق من حاق الشيء يحوقه : دلكه وملسه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خلفت (لبنان) جنات النعيم وما نبئت أن طريق الخلد لبنان

سيداتي سادتي

هذا ما امكن التقاطه من ادب الغوطة ومن استقصى اكثر مما استقصيت يسقط على شعر كثير في هذا الباب ربما كان ما كتب لي جناه احط مما يجنيه الباحث اليقظ . وهذا ما عرفته مما يفيد ترداده في الغوطة وخيراتها وحسناتها جعل الله أيامكم كأيام الربيع في الغوطة .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مخطوطات ومطبوعات

تلخيص وتصحيح

رحلة الوزير في افتكاك الأسير

تأليف

الوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني

[٢٨٢ صفحة بقسميه العربي والإسباني والفهارس]

مطابع الفنون المصورة ، بوسكا ١٩٦٠ العرائش (المغرب)

السلطان المظفر مولاي إسماعيل من أعاظم سلاطين المغرب وأكثرهم حزما وعقلاً ودهاءً وضرباً في الأرض في سبيل التوسع . بويع سنة ١٠٨٢ هـ (١٦٧٢ م) « فنهض بأعباء الملك وضبط الأمور بشدة وحزم فتمهدت له البلاد ودان له قريبها وبعيدها وأخمد ثورة مراكش وثورة فارس . فلما دانت له البلاد المغربية من أقصاها الى اقصاها بعد معارك وحروب طويلة واستتب الأمن في الداخل وأجبر الانكليز على الانسحاب من طنجة سنة ١٦٨٤ م واسترجع العرائش من الإسبان سنة ١٦٨٩ وضرب الحصار على سبتة ، فكر في الفتوحات الخارجية : فاستولى على تخوم السودان وبلغ فيها الى ما وراء النيل ، فانتشرت دولته وامتدت مملكته من جهة الشرق الى قرب بلاد بسكرة ونواحي تلمسان .

فهابته دول أوروبا وتسابق ملوكها وسلاطينها الى خطب وده والتقرب اليه ، فبادلهم الولاء وابرام معاهدات الصداقة وإرسال السفراء .

وكان أقربهم اليه الدولة الاسبانية فبعث الى ملكها كارلوس الثاني وزيره « محمد بن عبد الوهاب الغساني »[1] سفيراً في أمرين هامين : تخليص الأسرى المسلمين

(١) ص 9

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لدى الاسبان وجلب ما بقي في الأندلس من الكتب العربية في مختلف المكاتب الخاصة والآثار الاسلامية ، فقام الوزير بهذه الرحلة سنة ١١٠٢ هـ الموافقة سنة (١٦٩٠ — ١٦٩١ م) واستغرقت ثمانية أشهر من المحرم الى رمضان المبارك ، عاين خلالها الجليل والدقيق من أمر اسبانيا وشعبها وعاداتهم وأديانهم وأزيائهم وخيراتهم ووصف كل ذلك وصفاً شائقاً جذاباً ولم يترك أن ينعت لنا الحالة السياسية والدولية لعصره ، وهذا هو موضوع الكتاب الذي نحن بصدده .

يشعر قارئ الرحلة بلذة فائقة ، اذ استطاع الوزير الغساني ان يجعلنا على كثب مما شاهد بصدق لهجة وأمانة وسذاجة فذكر الوزير المؤلف ما عاين « من مرافق الحياة والعمران والحضارة في البلاد الإسبانية وما لاحظه من عادات ذلك الشعب ومدنيته ، وما سمعه واختبره في تلك البلاد من تطور سياسة الأمم وتحوير أنظمة الدول ، وما لقيه من الإكرام والاحترام وحسن الضيافة ، وما عمله لتوطيد الصلات وتبادل المصالح المشتركة وتأمين حسن الجوار بين إسبانيا والمغرب وابرام المعاهدات بين ملوك الدولتين العظيمتين ، فقد أتحفنا الوزير بملاحظات دقيقة واستنتاجات قيمة ورسم لنا صورة مصغرة طبيعية عن اسبانيا في عهد كارلوص الثاني ربما كانت من اقرب الرسوم الى الحقيقة وأفضل ما كتب عن اسبانيا في ذلك الزمن .

وقد بين المؤلف من ناحية أخرى ما كان للمغرب من عظمة ومجد وسؤدد . وما كان لسلاطينه العظماء من جلال الملك والأبهة والشهرة الواسعة ، وما كان عليه مولاي اسماعيل من دهاء وحزم وعظمة وبطش وقوة وسعة ملك ، وما كان له من فضل عميم وسعي مشكور في افتكاك ما بقي من اسارى المسلمين بإسبانيا ، وجلب كل الوسائل الفعالة التي تؤدي الى ما فيه عظمة الإمبراطورية المغربية وخيرها »[1]

وقد يعجب القارئ من دقة ملاحظته حين يسجل من التفاصيل كل ماهو

(١) ص 3

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذومغزى فقد عرفنا منه ان الاسبان على عهده كان لهم سوق عامة في فسيح من الأرض يقوم موسمها خمسة عشر يوماً في السنة (ص ٣٥) على مثل ما كان عليه العرب في جاهليتهم وصدر اسلامهم ، وأن من (الاكليريكيين) من يختصي لتحسين الصوت وترقيقه (ص ٣٦) ، وأن القوم كانوا يرتعون في بحبوحة من غنى مستفيض عقب استيلائهم على أمريكا فترفعوا عن التجارة والتغرب والمهن وصار اكثر من يقوم بذلك عندهم نزلاء فرنسيين لأن بلادهم كانت ضيقة المعاش (ص ٤٤) ، ونرى (ص ٤٦—٥٦) معلومات طريفة عن أولية البيت المالك في اسبانيا ، ولم ينس أن يفيدنا عن سبب بناء الإسكوريال (ص ٤٨) ، ولا أن يصف لنا نظام تولية البابا ص ٦٧ ولا تصوير الانزلاق على الجليد تصويراً لاذاً (ص ٥٩) ، كما لم ينس نعت مقابلته لملك اسبانيا ووصفه ونعت قصره وحاشيته وطراز حياته ولا الساحة العامة في مدريد ولا مصارعة الثيران ، ولا المشافي (البيمارستانات) وعنايتهم بالمرضى الخ . ثم لم يهمل ان يطلعنا على اهتمام القوم بالأخبار الخارجية فقد عرف من منشوراتهم [جرائدهم] (ص ٧٩) أخبار السلطان سليمان القانوني وحربه مع امبراطور المانيا وازماعه حصار ويانه . كما عرفنا كثيراً عن التاريخ الدولي إذ ذاك وأيقنا بأن الوزير المؤلف خبير بعلاقات الدول دارس لتاريخهم درساً جيداً ، عليم بشؤون عصره وتفاصيل الحوادث ، فهو رجل دولة .

ويكاد ما ذكره ص ٨٣ — ٨٥ عن عاداتهم في الميراث وحوادثهم فيه ودقائق اموره سواء كان الموروث لقباً او مالاً أو عقاراً .. يكون نظاماً كاملاً في الإرث .

ومما يدل على فطنته وبعد نظره انه تكهن بوراثة امير فرنسي لعرش اسبانيا قبل حرب الوراثة الاسبانية وترشيح فيليب آنجو للعرش (ص ٨٥) وكان دقيقاً جداً حين علل شروع الاسبان بتعلم الفرنسية الى آخر مافي الرحلة من فوائد .

وذيل كتابه بفصل ممتع عن دخول العرب للأندلس وأحداثها الأولى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعرفنا أنه دخلها رجل واحد فقط من أصاغر الصحابة مع موسى بن نصير اسمه المنيذر الافريقي وساق حديثاً عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يبعث على الاعجاب العظيم في هذا الفصل ويثير في العربي بل في كل إنسان أنبل الشعور وأسمى العواطف ماذكره ص ١١٥ من عادة خلفاء بني أمية بدمشق من أنهم « اذا وردت عليهم الجبايات استقدموا مع جباية كل موضع عشرة رجال من وجوه رجاله وخيارهم فلا يدخل بيت المال من الجباية لا دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد بالله الذي لا اله الا هو : ما فيها دينار ولا درهم أخذ الا بحقه ، وأنه فضل أعطيات أهل البلد من العيال والذرية !! »

الحق ان الحضارة تحتاج الى قرون كثيرة حتى تسمو الى فهم الاسلام والمسلمين

* * *

وبعد فهل علي من حرج اذا أنا أثنيت على المؤسسة التي تعنى باخراج مثل هذه الكتب ونبشها من قبورها فتضيف الى تاريخنا صفحات مجيدة ، واذا خصصت بشكري الأستاذ ألفريد البستاني الذي توفر — على قدر طاقته — على نشره كتابنا بهذه الحلة .

وأرى من تمام شكري لهذا السيد أن الفته الى أمور لا يجهلها في أصول نشر المخطوطات منها:

١ — اننا لم نعرف قيمة المخطوطات الثلاث التي اعتمد عليها ، ولا تاريخ كتابتها ومن الواجب أن ينشر صورة فتوغرافية لأول صفحة وآخر صفحة منها

٢ — الكتاب يكاد يكون حديثاً واحداً غير متميز الأجزاء ، ومن أول واجب الناشر أن يبوبه ليستريح القراء عند أول كل موضوع جديد . والكتاب ١٢٠ صفحة لم يذكر الناشر الواجب عليه الا في نحو خمس صفحات .

٣ — نعيد هنا مالاحظنا عليه في كتاب آخر وهو ان الفهارس قليلة الغناء لأنها لا تخضع لترتيب ما فلا هي مرتبة على الحروف العربية ولا الاسبانية ولا على ترتيب القدم في الزمن . ونزيد هنا ان اهم الفهارس التي على المؤلف إثباتها ولا يستغنى عنه قط وهو فهرست الموضوعات ، قد أهمله الناشر اهمالاً تاماً وصار الذي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يريد ان يرجع الى حادثة في الكتاب مضطر الى اعادة قراءته من أوله حتى يظفر بضالته وهذا عيب في النشر كبير .

٤ — هناك بعض جمل غامضة أو محرفة لم يجتهد الناشر في معرفة صوابها ولم يشر الى استشكاله اياها : كقوله : ص ١ « وتصرفه الكلية ... بالبيض المحامي » وتقديره ما أنفق على منبر جامع قرطبة بـ (٥٣٥) دينار فإن الصواب فيه ماذكر في حاشيته ص ٢٢ وهو (١٥٣٥) دينار وللناشر ان يستصوب ، وقوله ص ٢٧ « والمتجالات » لم نفهم المقصود منها فاما أن تكون محرفة واما ان يكون لها معنى محلي على الناشر ان يوضحه . ونرجح ان هناك خرماً بعد السطر الثامن عشر ص ٩٥ لأن الجملة ناقصة . وقوله ص ٩١ الرجل الى مدجرة الماء متبعوه ، وص ٩٨ (قنانيط وحجاب كيبار ؟) مما لم نفهمه

٥ — ملاحظة الناشر ص 3 أن المؤلف خلط بين طارق بن زياد وطريف بن مالك غير صحيحة ابداً وكل مافي الأمر ان الناسخ أخطأ فكتب طارقاً وهو يريد طريفاً وذلك في صفحتي ٥ ، ٧ بدليل ان الكلمة في مخطوطة بني بوزين (رقم ٢) جاءت صواباً (انظر ص ٥) . فعلى من يقدم على تخطئة المؤلفين ان يتثبت ويتروى طويلاً .

٦ — وجدت في الكتاب هذه الجمل الملحونة : « ص ٢٤ يزعمونه النصارى ، ص ٢٥ يتولونها بقايا ص ٢٧ يحطن به اربعة عجائز ، ٢٩ طلبوا أهل ص ٨٦ لا يقدرون أهل الصليب ، ٩٦ ما يلقونه عليهم معلومهم ، فلم يفهموه جميع النصارى ، ٩٩ العشر كلمات ، يسمع لهم (أنين النواقيس) صوت ، ١٠٠ خمس طواغي ، مسجد طليطلة وقرطبة وإشبيلية الشهيري الذكر ، ١٠٦ كل ناقوس منها ست وثلاثين شبراً » وظاهر أن جمع الضمير في الجمل الثلاث الأولى لغة ضعيفة وكذلك في (ص ٦٢ ويأتون بهم ويدخل اليهم (يقصد الثيران) و ٦٤و٦٦ الخ

وان الصواب في الرابعة : العشر الكلمات ، وان ضمير الذكور العقلاء في الخامسة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خطأ وكذلك الصواب في الشهيري : الشهيرة أو المشهورة لأنهـا صفة مالا يعقل ، والصواب أيضاً ان يقول : خمسة طواغي ، وستة وثلاثون شبراً . هن غلطات ست يستطيع الانسان أن يحملها المؤلف كما يستطيع ان يجعل اكثرهـا من تحريف الناسخين وهو ما أجزم به ، وكيفما كان فليس من السائغ أصلاً ان يقول الناشر : « أما الرحلة فانشاؤها مضطرب وتعابيرها ركيكة تظهر عامية أحياناً »[1] و الصحيح أن لغة الرحلة سلسة صحيحة لا عامية فيها ولا ركاكة ، بل الإنشاء قوي متين كما احس به المستشرق الفرنسي البحاثة هنري بيرس[2] على أعجميته . وجودة الوصف والإنشاء في الرحلة مما لا ينبغي — كان — أن يخفى على احد .

٧ — حذف الناشر ثلاث صفحات من الرحلة وصف فيهـا المؤلف « بصورة مشوهة ارتداد (شاوول) بولس الرسول وتكلم عن اعمال الرسل الإنجيليين ، وتعرض الى سر تجسد المسيح والى سلطة البابا الروحية وما يسنه من الشرائع والاحكام ، وذكر بعض مناظراته مع الرهبان في مدريد وتكلم عن طريقة الرهبان والكهنة في استعمالهم سر الاعتراف وأورد بعض أخبار ملفقة لا فائدة من ذكرها »[3] واكاد أقول ان هذا الحذف جريمة شنعاء في قانون النشر وتساهل في الأمانة العلمية . هذا وليس على الناشر من اداء الامانة حرج في دينه ، فان أبت عاطفته الا التنفيس فان الاصول المتبعة تبيح له التعليق والرد بعد اثبات النص بحذافيره . وعلى كل فان هذه الرحلة بتراء بسبب فعلة الناشر فقد حرمنا الاستمتاع برأي مشاهد مخالف . وغريب جداً ان يقول مع ذلك ص 2 : « فقد توخينا الامانة والصدق في النشر والترجمة محافظة على قيمة اصول المخطوط التاريخية » والعلم لا يجد في عمله هذا امانة ولا محافظةً على قيمة الاصول التاريخية

٨ — على الناشر ان يتجنب ما امكن الجمل المهلهلة التي لاطائل تحتها من مثل

(١) ص 2 (٢) ص 6 (٣) ص ٩٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قوله ص 7 : «وبينما نحن في معترك البحث وميدان الدرس فوق مائدة التشريح في المختبر العقلي نحلل مقاييس ومقادير عقدة هذه القضية الخ»

وأن يعتني بدرس قواعد لغته العربية فإن العمل الذي يمارسه يتطلب ذلك كما سترى .

٩ — قيمة الرحلة ونفاستها وجلال الموضوعات التي عالجتها ، كل ذلك يوجب علينا ان نثبت الاغلاط التي انتبهنا اليها وهي كثيرة جداً وغالبها من البدائه التي لا يجوز جهلها ابداً واني لأرجو ثانية [بكل حرارة] من السيد البستاني ان يتقن لغته ويدرس قواعدها ويعرض أعماله على من هو أخبر منه فيها فإن هذه الجريدة من الأغلاط في [١٢٠] صفحة إحدى الكبر في هذا العصر :

ص	الخطأ	الصواب
5	واستلاء الفرنسيون:	واستيلاء الفرنسيين
	التي وضعناه	التي وضعناها
٢	هاتك	هاتيك
٣	مبديء	مبدأ
	دُعي	دعا
	=١١٥ فغزى	فغزا
٤	فاطمئن	فاطمأن
٥	وقع هذا	ومع هذا
٦	لملاقتنا	لملاقاتنا
	ثلاث مراكب	ثلاثة مراكب
٧	للملاقات	للملاقاة [١١٦١٠٦٨
		١٣٩٦٣٦١٨٦١٧ الخ]
٩	دار	داراً

ص	الخطأ	الصواب
١٠	المقصودين	المقصودات اوالمقصودة
	الدار الذي	الدار التي
١١	الجوز	الجو
١٤	واعتقادتهم	واعتقاداتهم
١٥	فتشير	فتثير
١٨	وسبعة	وسبع
٢٠	كسى	كسا
	شمط	شحط
٢١	أيمحوا	أيمحو
	هام	رام
	المراعات والمحابات	المراعاة والمحاباة
	جدبت ضبغي	جذبت ضبعي
	زاد	زادي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ص	الخطأ	الصواب
٢٢	مصدفين	مصفدين
	العظيم أثر	عظيم أثر
	نزهت المشتاق	نزهة المشتاق
٢٣	القناطير	القناطر
٢٥	المندثر	المتدثر
٢٧	اربعة عجائز	اربع عجائز
٢٨	ذي	ذوي
	ابنة عشرون	ابنة عشرين
٢٩ = ٨٤	الغير	غيرهم
٣٠	اناس ذو	أناس ذوو
٣١	ثلاثة مسافات	ثلاث مسافات
	في كذلك	كذلك
	ونساءهم	ونسائهم
٣٢	ليس	فليس
٣٣	آخراً	آخر
٣٦	منتقات	منتقاة
	يستحسنوها	يستحسنونها
	وله سنين	وله سنون
٣٧	ليعصرونه	ليعصروه
٤٠	يسكونونها	يسكنونها
٦٩ = ٨٦٨٢	تزويجها	تزوجها

ص	الخطأ	الصواب
٤١	يتهيئ	يتهيأ
	كملت الاثنى عشر	كمل الاثنا عشر
٤٢	ورجلاً	ورجالاً
٤٤	سينين	سنين
٥٢	للاختلاطهم	لاختلاطهم
٥٤	ألزاموا	ألزموا
	احسن ومن	احسن من
٥٥	ستة وعشرين سنة	ست وعشرين سنة
٥٦	علىم	علام
	اربعة عشر سنة	اربع عشرة سنة
٥٧	ذالك	ذلك
٥٩	الاخيربين	الاخربين
= ١١٩	عصى	عصا
٦٠	بلادنا	في بلادنا
٦٣	حضرت عيد	حضرت عيداً
	ليراه الناس ويعرفونه	... ويعرفوه
٦٤	كنائساً	كنائس
	عجائزاً	″
	آخراً	آخر
٦٧	ولم يتولى	ولم يتول
٦٩	ابنت	ابنة
٧٠	فمال	فقال
	فأغلقها	فأغلقه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ص	الخطأ	الصواب
٧١	ابدلواه	ابدلوه
	مبلغه اثني عشر	مبلغ اثنى عشر (او مبلغه اثنا عشر)
	ونساءهم	ونسائهم
٧٢	والردا	والردى
٧٣	الشنئان	الشنآن
٧٤	بد حرب	من حرب
٧٥	تدعوني	تدعونني
٧٦	مزعمين	مزمعين
٧٨	ست مائة داراً	ستمائة دار
	فجهوا	فوجهوا
٨١	أخلا	أخلى
٨٣	ولداً ذكر	ولداً ذكراً
	يرثه	يرثها
٨٤	يتوعدون	يتواعدون
٨٥	مبالات	مبالاة
٨٧	الكنائسي	الكنسي
٨٨	ممزجًا	ممزوجًا
٩٠	معد	معداً
	يدعوا	يدعو
	تناوله	مناولته
	الستة	في الستة
٩١	تغسل له	تغسل لي
٩٣	بالسان	باللسان
٩٤	تجد	تجسد
٩٥	ثلاث ابواب	ثلاثة أبواب
٩٧	الستة واربعين	الستة والأربعين
	زينته	زنته
	اربعة عشر مدرسة	اربع عشرة مدرسة
٩٨	تسمع اصوات	تسمع اصواتاً
١٠٠	يمت	يموت
	إذا	إذ
١٠١	داره الذي	داره التي
١٠٣	نرجوا	نرجو
	نقضوه	نقضيه
١٠٤	في بناءه	في بنائه
١٠٦	ثلاثة ارباع الذراع	ثلاثة ارباع الذراع
١٠٨	بالهباء	بالهبات
١١٠	بأكثره من	بأكثر من
١١٥	قريئت	قرئت
	المعنى ؟	
١١٦	خباسة ؟	
	وصاروا	وصدروا
١١٧	التابعان	التابعيان
١١٨	لسبليه	لسبيله
١١٩	الشي	السبي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا وقد احسن الناشر بترجمته ترجمة موجزة الأعلام الواردة في مقدمته وفي الكتاب باللغتين العربية والاسبانية . وآسف لجهلي الاسبانية وحرمان القراء من إطلاعهم على قيمة الترجمة ودقتها .

وأتمنى في اختتام لهذه المؤسسة اطراد التوفيق وللناشر الفاضل زيادة الاطلاع على مبادئ لغته وترقيه في خدمتها ، وإذاً نهنئه بدقة الاخراج كما هنأناه هنا بالإخراج ، ولا ننكر ان مهمته شاقة ولكن همته الصادقة كفيلة بالتغلب على الصعاب فله منا — إذا فعل الشكر — والتحية والتقدير

سعيد الافغاني

الموافقة بين اهل البيت والصحابة

هذا سفر جميل لمؤلفه الحافظ ابي سعيد اسماعيل بن علي بن زنجويه الرازي السمان المتوفى سنة ٤٤٥ هـ اختصره العلامة جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ وحذف منه الاسانيد والمكررات . ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال ابن زنجويه بقوله انه صدوق لكنه معتزلي جلد . وذكره ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان واشار الى من اخذ العلم عنهم وقال ان له تصانيف وحفظاً وأشعاراً ورحلة كبيرة ومشايخ يجاوزون ثلاثة آلاف . ونقل عنه ابو الحسين المطهر ابن محمد بن علي العلوي بالري قال : سمعت أبا سعيد السمان إمام المعتزلة يقول : «من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الاسلام» وقال فيه إنه كان من الحفاظ الكبار ، وكان فيه زهد وورع ولم يتأهل ، وله تفسير في عشر مجلدات وسفينة النجاة في الإمامة وغير ذلك .

ذكر صاحب الموافقة كيف أحب الصحابة بعضهم بعضاً ، وما قال بعضهم في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وصف بعض ، وخصوصاً الخلفاء الراشدين ، ورأينا فيه أن علياً يُعلي مقام أبي بكر وعمر ، وأن أبا بكر وعمر يعرفان لعلي مقامه ، ومشاهده وفضله وقرابته ، ويعليان أبداً قدره . وفي هذا الكتاب مقتل عمر بن الخطاب ومحضر الشورى وما قيل فيها ووصف بكاء الامة يوم وفاة ابي بكر وموت عثمان ، وفيه خطب بليغة وكلمات بارعة نقل بعضها رجال التاريخ والادب ، وبعضها مما رواه الباقلاني في اعجاز القرآن مثل خطبة علي في تأبين أبي بكر . وفيه حوار طويل وخطب لعلي عن سويد بن غفلة ، وهو ممن صحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً من التابعين ، في الرد على من تنقصوا أبا بكر وعمر ، وقول علي في الشيخين انهما أخوا رسول الله ووزيراه قائلاً : ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عنه متنزه ومما يقولون بريء ، وعلى ما يقولون معاقب ، فو الذي خلق الحبة وبرأ النسمة ، لا يحبهما الا مؤمن تقي ، ولا يبغضهما الا فاجر ردي ، صحبا رسول الله بالصدق والوفاء ، يأمران وينهيان ، ويعاقبان فما يجاوزان فيما يقضيان ، الى أن قال : ان أبا بكر سار سيرة رسول الله حتى قبض ثم ولي الأمر من بعده عمر بن الخطاب ، واستأمر في ذلك الناس فمنهم من رضي ومنهم من كره ، وكنت ممن رضي ، فوالله ما فارق عمر الدنيا حتى رضي من كان له كارهاً ، فأقام الأمر على منهاج النبي وصاحبيه يتبع آثارهما كما يتبع الفصيل اثر امه .

أما أخبار الفتنة فتنة عثمان ففيها اشارات مهمة لبراءة علي كرم الله وجهه من الانغماس فيها على ما حقق المؤرخون . ومنها عن ابن ربيعة سمعت علياً يقول : والله لئن شاءت بنو أمية لأعتبنهم بخمسين غلاماً من بني هاشم يحلفون بالله ما قتلت عثمان ولا مالأت عليه .

وأصل هذا الكتاب في دار الكتب المصرية وهو جدير بالنشر .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حول تاريخ الكهرباء

قصص العلماء والمخترعين : أخبارهم ونوادرهم وسر نجاحهم

للاستاذ محمد عاطف البرقوقي

مفتش العلوم الطبيعية بوزارة المعارف المصرية وخريج جامعة بريستول بانكلترا

الجزء الاول عن الكهربيه واللاسلكي من قدماء المصريين الى القرن العشرين

انا لا نوفي هؤلاء العلماء والمخترعين جزءاً مما ندين به لهم مهما عملنا من اجلهم تمجيداً وتخليداً فالمدنية الحاضرة والمقبلة صنع أيديهم وبنات افكارهم قضوا الليالي والأيام وراء حقيقتها العلمية يبغونها في تواضع واخلاص لا يبغون في الغالب اجراً ولا شكوراً . وقد طغى تاريخ السياسة بل تاريخ الأدب على ذكر هؤلاء العلماء واخبارهم ومن رأينا ان التاريخ الجدير بالدرس والاعتبار ليس بتاريخ الدم البشري يسيل في المعارك والمجازر للاسباب الدنيا وانما هو تاريخ الفكر البشري يحمل شعلته المباركة هؤلاء العلماء المخترعون يسيرون بها في طريق الخير دوماً الى الامام .

ولهذا نستقبل خير استقبال كتاب السيد البرقوقي عن تاريخ الكهرباء واللاسلكية: وقد وفق المؤلف في سرد تاريخ الكهرباء وهو الحافل بالقيم والطريف فأتى كقصة جذابة لم يكن الشرح العلمي وهو مختصر قليل لينفر منها ، قصة حوادثها كشوف الكهرباء الخطيرة ، وكل منها عنوان عصر في حياته وتفكيره ومبلغ رقيه ، وابطالها جمهرة من اساطين العلم نكبر قدرهم لما بلغوه من شأن في كشوفهم ويزداد اكبارنا حين نطلع على الناحية الانسانية في حياتهم وجهادهم وعلى النوادر المستحبة المأثورة عنهم ، قصة تبدأ بكشوف الاقدمين على حجري المغناطيس والكهربا وأرادها المؤلف ان تنتهي باللاسلكي المعاصر .

وفي الواقع يشعر المطالع لهذا الكتاب من الصفحات الأولى ان اللاسلكي هو الخاتمة المنتظرة والحلقة الاخيرة لسلسلة الكشوف في الكهرباء «حمام الزاجل ، الاتجاه الصحيح نحو اللاسلكي ، جرثومة اللاسلكي ، مفتاح اللاسلكي ...» كأن جهود العلماء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمخترعين من قدماء ومحدثين رمت كلها الى اللاسلكي في الحين الذي يبعد فيه تعيين ما تقود اليه الابحاث العلمية وما سيبنى عليها في المستقبل . والكشف العلمي ، على قول فاراداي وكما اورده المؤلف، كالطفل ساعة ولادته لا يعرف ماينتظره في مستقبله، والعالم في مخبره كالرائد في الأرض لا يعلم ما تخبأ له الآفاق البعيدة . لقد كان اللاسلكي نتيجة طبيعية مهمة لتقدم الكهرباء اما ان نرى فيه الهدف الأول والآخر لهذا الفرع من العلوم الذي لما تفرغ جعبته ولن تفرغ ففي ذلك اكبار للاسلكي واهمال لحلقات اخرى بعده ذر قرنها ولها شأنها .

ذلك اننا لم نكن لنأخذ هذا على المؤلف لولا ان الأبواب الاربعة الاخيرة من الكتاب ضحيت على هامش اللاسلكي — اللاسلكي في البواخر والطيارات وفي الأمن والحروب وفي مصر ... — مما لا علاقة كبيرة له بصلب الموضوع فأتت هذه الأبواب غير منسجمة أبداً في سويتها الثقافية وفائدتها مع الأبواب الاولى من الكتاب ، مع ان هنالك ، كما تقدم ، مادة غزيرة حول كشوف كهربية قيمة — انفراغ الكهرباء في الغازات وفي الخلاء والأشعة المهبطية وتطبيقاتها ، دقائق الكهرباء من كهارب وسواها وعلاقتها بالمادة ، حقيقة الكهرباء والتموج الكهربا مغناطيسي على ضوء النظريات الحديثة ... — لم يتعرض المؤلف لها ، وكم كان من المستحب ان تملأ فراغ الأبواب المذكورة فيكون تاريخ الكهرباء تاماً حتى السنين الأخيرة .

وقد اراد المؤلف وهو على حق ، كما جاء في مقدمته ، ان يكون الكتاب مفيداً للخاص والعام ، ولكنه جاء في سويته العلمية مسايراً للعام بل كأنه أخذ بميل الجمهور الى السهل الطريف الأخاذ مما ضيق على الايضاح العلمي المجال ولو انه رفع من مستوى الكتاب وجعله أغزر مادة لكان فيه التوجيه العلمي المبتغى .

وتبدو هذه المسايرة العامية في الباب الأخير واضحة جلية : فما جاء فيه اجدر بمجلة اسبوعية للجمهور الكبير منه بكتاب علمي رفيع : « اشعة الموت ، علماء بناء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعلماء تدمير ، انتصار هؤلاء على اولئك ، انتهاء قصة الحياة ... خلاص العالم من هذه الحياة الدنيا » . وما كنا لنريد لتاريخ الكهرباء الطلي هذه الخاتمة المفجعة : ان الفكرة العظيمة التي ينجلي عنها تاريخ العلوم هو ان العلم بريء في الأصل وسائر الى الامام دوماً ، واذا كان هنالك من تفاوت بين تقدم علوم المادة والاخلاق فلهذا حديث آخر .

وكما في كل كتاب علمي تبرز معضلة المصطلحات العلمية العربية الى العيان والمؤلف العلمي في اللغة العربية أول من يعاني صعوبتها فان هذه المعضلة لم تستوف حقها من البحث سواء كان من قبل علماء اللغة او من قبل الاخصائيين في العلوم .

وأخيراً نصارح المؤلف القول بالطابع المصري والمحلي الذي طبع به كتابه وهو مؤلف عالمي انساني : فالكتاب يبدأ من قدماء المصريين على بعدهم عن الموضوع وينتهي ببحث مطول للاسلكي في مصر ولقضايا محلية عديدة قد تكون مفيدة في كراس خاص ولكنها لا تجد مكانها في قصص العلماء والمخترعين . انا نجل الرجالات الذين اتى على ذكرهم والذين كان لهم في تاريخ اللاسلكي والاذاعة في مصر شأن دعا المؤلف ، لاعتبارات يسهل فهمها ، الى التحدث عنهم ولكنّ لامثال فاراداي وماكسويل شأناً ولهؤلاء شأن على تقديرنا لهم وانما يزين الكتب العلمية التجرد قبل كل شيء .

وعلى الاجمال فموضوع الكتاب قيم وفق المؤلف في اختياره وهو حري بالمطالعة وقد اصابت وزارة المعارف المصرية بمنحه جائزة المباريات الادبية لعام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ وانا للأجزاء التالية لمنتظرون

جمال الفرا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تفصيل آيات القرآن الحكيم

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر سنة (١٣٤٢)

يقع في (٧١٤) ص بالقطع الكبير عدا مقدمته وفهارسه البالغه (٢٤) ص

وهو كتاب وضعه باللغة الافرنسية الاستاذ جول لابوم ، ونقله الى اللغة العربية الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وقدم له في أوله الاستاذ محمد فريد وجدي ، وكنا نود لو ان مقدمة المؤلف اثبتت مع الكتاب ليطلع القارئ على غاية المؤلف من وضع هذا الكتاب ، وعلى منهاجه في الترتيب ، ورأيه في الاسلام والقرآن .

والكتاب يرتب آيات القرآن الكريم على موضوعات مقسومة الى (١٨) باباً ، ولكل عدة فروع يبلغ مجموعها (٣٥٠) فرعاً ، وكل فرع له عنوان يأتي تحته جميع ما ورد في موضوع هذا العنوان من آيات التنزيل ، وقد تتكرر الآية الواحدة في عدة عناوين لدلالتها على عدة مواضيع

والابواب الثمانية عشرة هي : التاريخ ، محمد صلى الله عليه وسلم ، التبليغ ، بنو اسرائيل التوراة ، النصارى ، ما وراء الطبيعة ، التوحيد ، القرآن ، الدين ، العقائد ، العادات ، الشريعة ، النظام الاجتماعي ، العلوم والفنون ، التجارة ، علم تهذيب الاخلاق ، النجاح

ومن استقراء عدة مواضع في الكتاب وجدنا ثلاث ملاحظات ينبغي التنبيه عليها :

أولاً — لا توجد المطابقة في بعض الاحيان بين الآيات وما عنون لها به ، من أمثلة ذلك ما ورد في ص (٥٠٩) (السبت) ذكر تحت هذا العنوان آيتين الاولى : انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ، وهذه الآية مطابقة لما عنون له ، ولكن الانسان يحار في الآية التي بعدها اي علاقة لها في هذا الموضوع وهي : يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون

وكما في عنوان (مكة) ص ٥٠٩ فقد أورد تحت هذا العنوان عدة آيات لا يدل عليها هذا العنوان وغاية ما فيها انه خطاب لقريش راجع ص ٥١١ و ١٢ و ١٣

ثانياً — ان المؤلف لا يتتبع في بعض الأحيان كل ما ورد في الموضوع الذي عنون له كما في عنوان السبت ص ٥٠٩ ذكر تحت هذا العنوان آية واحدة تتعلق بالسبت ، وآية أخرى تتعلق بالجمعة لا بالسبت مع وجود اربع آيات اخرى تتعلق بالسبت وهي (١) واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم (٢) ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت (٣) كما لعنا اصحاب السبت (٤) وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ، وكعنوان المساجد ص ٥٠٩ ذكر فيه آيتين فقط مع وجود عدة آيات أخرى

ثالثاً — انه يضع عدة عناوين لآيات موضوعها واحد كما في ص (٦٧٨) عنوان العهارة وفي ص (٦٨٤) عنوان الخلاعة ، ولكن الآيات الواردة تحت عنوان الخلاعة ينطبق عليها عنوان العهارة لا عنوان الخلاعة فلو أضيف ماجاء تحت عنوان الخلاعة الى ما جاء تحت عنوان العهارة لكان اجمع للبحث واخصر للعناوين .

وهناك ملاحظات أخرى تعود على الترجمة كما في عنوان (العفو) ص ٥٢٠ والصواب ان يكون العنوان (الترخيص) لأن الآيات الواردة فيه هي في الترخيص والتيسير لا في العفو وقد عنون له في ص ٦٤٨ و ٦٥٣ ، ومثل ذلك عنوان (المبادهة) ص ٧٠٩ ذكر تحت هذا العنوان آيتين بمعنى ولفظ واحد : قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل ، ولا معنى للمبادهة هنا والصواب ان يكون العنوان هكذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(المباراة) ففي المختار : فلان يباري فلاناً اي يعـارضه ويفعل مثل فعله وهذا ما تدل عليه الآية .

وبعد فان فكرة تقسيم القرآن الى عدة موضوعات هي فكرة قديمة حاولها كثير من المتقدمين كابن جرير الطبري الذي قسم القرآن الكريم الى ثلاثة أقسام : التوحيد ، والأخبار ، الديانات ، وقسم علي بن عيسى القرآن ايضاً الى ثلاثين موضوعاً كما ان بعضهم افرد نوعاً خاصاً منها على حدة كآيات الاحكام ، والجهاد ، والقصص ، وآيات الصبر ، والمصيبة الخ ولكننا لم نطلع على مؤلف جمع واستوعب جميع اصناف موضوعات القرآن ، لذلك فان هذا السفر الذي نكتب عنه هذه الكلمة هو الكتاب الوحيد في هذا الموضوع ، وقد سد فراغاً كبيراً لدى الباحثين ممن يتطلب موضوعاً من موضوعات القرآن الكريم ، كما أحسن كل الاحسان الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في اختياره ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية ، والعناية بنشره فعمت به فائدة الدارسين والباحثين

دمشق : محمد أحمد دهمان

حياة دزرائيلي

في ٢٦٢ صفحة من القطع المتوسط

ألف هذا الكتاب الأديب الفرنسي الشهير أندره موروا ونقله الى العربية السيد حسن محمود وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر . وهو صورة جميلة للحياة السياسية في انكلترة خلال القرن التاسع عشر ، وتاريخ روائي لحيـاة هذا الرجل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العصامي واليهودي المتنصر الذي تمكن بذكائه ومطامعه وصبره وجدّه وإخلاصه للملكة فكتوريا، من أن يصبح اكبر رجل دولة في بريطانيا العظمى، مدّة غير قصيرة .

ولغة الترجمة حسنة اجمالاً . ومما لاحظناه على المترجم (ص٢١٢و٨٩) استعماله لفظة الغذاء بالذال المعجمة بدلاً من الغداء اي طعام اول النهار او طعام الظهر، واستعماله في تضاعيف الكتاب الكهولة بمعنى الهرم، والكهل للطاعن في السن . وقوله في الصفحة ٤٣ «عندما زار قصر الحمراء جلس على عرش بني سريج . وهم بنو سراج . وقوله في الصفحة ٤٩ «والبلاد التي لها حق التمثيل اختيرت بطريقة غير نظامية قط» ومن المعلوم ان لفظة (قطّ) ظرف زمان لاستغراق ما مضى وانها تختص بالنفي . فلكي تصح الجملة وجب جعلها هكذا «والبلاد التي لها حق التمثيل ما اختيرت قط بطريقة نظامية» . وقوله في الصفحة ١٨٦ «نحن المؤلفون يا سيدتي» والصحيح «نحن المؤلفين» . وقوله في الصفحة ٩١ «في معرض اثبات صحة نيابة اعضاء المجلس» وهو تتابع خمس إضافات لأسماء ظاهرة . وقد ساغ في جانبه قول الشاعر «حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي» .

ولئن كان ذكر هذه الملاحظات ضرورياً في مجلة مجمعنا فمما لا مرية فيه ان الكتاب الذي نحن في صدده بعدّ من غرر التراجم وان في تلاوته فائدة ولذّة .

الشهابي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آراء وانباء

نظائر « التكملة » للجواليقي

كتب الاستاذ « التنوخي » في مقدّمته لرسالة « تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة » لأبي منصور الجواليقي [1] أن لهذه الرسالة نظائر ذكر منها .

١ — ما تلحن فيه العامة للكسائي [١٨٩] [2]

٢ — لحن العامة للدينوري [٢٩٠]

٣ — لحن الخاصة للعسكري [٣٩٥]

٤ — اللحن الخفي لهاشم بن احمد الحلبي [٥٧٧]

٥ — لحن الفامة للسبتي [٧٣٣]

وقد اهتديت اثناء مطالعاتي الى كتب أخر تشاكل التكملة وتناظرها ، اردت ذكرها للفائدة :

١ — كتاب « ما يلحن فيه العامة »

ألفه احمد بن حاتم ابو النصر الباهلي ، وكان راوية ثقةً مأموناً مات سنة [٢٣١) [3]

٢ — كتاب « ما تلحن فيه العامة »

ألفه ابو عثمان بكر بن محمد المازني امام عصره في النحو والآداب وتلميذ ابي عبيدة والاصمعي مات سنة [٢٤٩] [4]

٣ — كتاب « ما تلحن فيه العامة »

---

(١) كتاب ذو شأن حققه الأستاذ التنوخي فعلق عليه وجعل له الهوامش والشروح واتبعه بالفهارس والمسارد . وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي . (٢) ذكر الأستاذ التنوخي ان وفاته كانت سنة (٢٨٩) وهو خطأ والصواب ما ذكرت . وفي الفهرست أن وفاته كانت سنة ١٨٧ (٣) معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٨٦ (طبعة دار المأمون بمصر) . (٤) معجم الأدباء ج ٧ ص ١٢٢ والفهرست ص ٥٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ألفه ابو الهيذام اللغوي كلاب بن حمزة العقيلي المحدث العالم بالشعر [١]

٤ — كتاب « ما تلحن فيه العامة »

ألفه سهل بن محمد ابو حاتم السجستاني مات سنة ٢٥٥ [٢]

٥ — كتاب « الفاخر فيما يلحن فيه العامة »

ألفه المفضل بن سلمة اللغوي النحوي ، وكان منقطعاً الى الفتح بن خاقان [٣]

٦ — كتاب « ما تلحن فيه العامة »

ألفه ابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ [٤]

صلاح الدين المنجد

عظماء العلماء والكتاب

جمعت الآداب العربية في العهد الأخير ببضعة رجال من المصريين خدموا الآداب والعلم والاجتماع أجل خدمة وخلفوا آثاراً خطيرة استفاد منها ابناء الجيل الحاضر وستستفيد منها الاجيال القادمة . منهم الاستاذ فخرى ابو السعود صاحب المقالات البديعة في مجلة الرسالة في المقابلة بين الادبين العربي والانكليزي . ومنهم الاستاذ محمود مصطفى صاحب كتاب اعجام الأعلام والادب العربي ومنهم العلامة محمد بك مسعود صاحب التآليف العلمية والادبية الكثيرة ، وآخرهم الاستاذ عبد القادر حمزة باشا صاحب المقالات الرائعة في السياسة والتاريخ ومنشئ جريدة البلاغ ، واليه انتهت مشيخة الصحافة المصرية ، وكان في مناقشاته السياسية آية في اعتداله وجميل مأتاه ، ومن اعرق المنشئين في عرض افكاره بايجاز معجب واسلوب مقنع . اجزل الله ثوابهم وعوض الآداب عنهم خيراً

(١) معجم الأدباء ج ١٧ ص ٢١ . وقد ضبط الاسم هكذا « ابو الهيذام » أما في الفهرست فقد ورد « ابو الهندام » ص ٨٢ (٢) معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٣٣ . والفهرست ص ٥٨ . (٣) الفهرست ص ٧٧ . (٤) الفهرست ص ٥٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net